الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد دراية أدرار

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

صورة المرأة في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية
رواية الحريق لمحمد ديب - أنموذجاً -

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : أدب جزائري

إعداد الطالبين:
ـفران عربي
ـفوندو سعدان

إشراف الدكتور:
- قاسي محمد عبد الرحمان

السنة الجامعية : 1438-1439ه / 2017-2018م

إهداء

إلى معلم البشرية محمد عليه الصلاة والسلام .
إلى الذي بدر حياته من أجل أن ينفض عنا القلة العلة والذلة :أبي العزيز .
إلى من القلب يهواها والعمر فداها ،أمي الغالية .
إلى زوجتي الكريمة رفيقة دربي .
إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء.
إلى البراعم الصغار أبناء إخوتي وأخواتي ،خاصة نهال ، منال ، إلياس ، سراج، سرور.
إلى زميلي وصديقي الذي شاركني هذا العمل.
أهدي هذا العمل.

فوندو سعدان

الإهداء

نحمد الله تعالى الذي أمدنا بالعلم الواسع ،فالعلم لا يتم إلا بالعمل وإن العلم كالشجرة والعمل به كالشجرة .

فأهدي ثمرة جهدي التي طالما تمنيت إهدائها وتقديمها في أحلى طبق

- إلى من علمتني معنى الحياة وكانت سببا في وجودي ومصدر سعادتي

إلى والدتي.

- إلى والدي وإلى روحه الطاهرة،رحمه الله.
- - إلى زوجتي الأستاذة الفاضلة وهيبة ز.
- - إلى ابني العزيز نزار محمد أنيس .
- إلى إخواني وأخواتي .
- إلى الذي شاركني هذا العمل سعدان

أهدي هذا العمل المتواضع

مع خالص المحبة والاعتزاز

فران عربي

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا
الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد
على إنجاز هذا العمل وفي تدليل ما واجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر
الأستاذ المشرف الدكتور قاسي محمد عبد الرحمان الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في هذا البحث.

ولا يفوتنا أن نشكر كل من الدكتور خليفي عبد الحق والدكتورة صمباوي
كريمة والدكتورة بريك الضاوية على مساعدتهم ودعمهم لنا بتوجيهاتهم ونصائحهم.

ثم الشكر أيضا لأعضاء لجنة المناقشة وأساتذتنا الكرام سواء الذين تتلمذنا على أيديهم فأعانونا أو الذين قادتنا إليهم أسئلتنا واستفساراتنا.

كما نتقدم بالشكر إلى عمال وعاملات الإدارة بقسم اللغة والأدب العربي

المقدمة

المقدمة

المرأة تلعب دورا كبيرا في المجتمع مما جعلها أحد الركائز الأساسية في الإبداع الأدبي خاصة الرواية ،فهي الأقدر على التعبير عن أفكار الكاتب ونقل صورة المجتمع في المجالات السياسية والاجتماعية ،والمرأة هي المحور الذي تدور عليه الرواية الجزائرية فهي تحتل نصيبا أوفر في الرواية ذلك أنها موضوعا بالغ الأهمية فقد عكف الكتاب على معالجة المشاكل التي تعاني منها ورسم صورها المختلفة .

ومن هؤلاء الأدباء نجد محمد ديب الذي كتب الكثير عن واقع المرأة الجزائرية ورسم صورتها ،ويتجلى ذلك من خلال روايته الحريق التي اخترناها موضوع البحثنا ،حيث درسنا فيه صورة المرأة الجزائرية ،وكان سبب اختيارنا لهذا هو حب الإطلاع ،والتعرف على جوانب من حياة المرأة الجزائرية خاصة في الفترة قبيل اندلاع الثورة و أثناء الاحتلال ، وهذا من خلال رواية الحريق التي تعد عملا روائيا بارزا في تاريخ السرد الجزائري والتي تكاد تكون الأجمل والأروع من بين الروايات الجزائرية .وبحثنا هذا ينطلق من التساؤل الآتي :

كيف تجسدت صورة المرأة في رواية الحريق ؟

ماهي أبرز الشخصيات النسوية التي ركز عليها محمد ديب في رواية الحريق ؟

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج السيميائي الأسلوبي المناسب لهذا الغرض معتمدين في ذلك على مجموعة من المراجع أهمها :

- المرأة في الرواية الجزائرية ،الدكتور صالح مفقودة .
- الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ،نشأته وتطوره وقضاياه ،لأحمد منور .
- الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيونقدية ،لأم الخير جبور .
- ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ،لحبيب فاطمة الزهراء.

هذا بالإضافة إلى مصادر ومراجع أخرى .

كما واجهتنا بعض الصعوبات والعراقيل أبرزها قلة المصادر والمراجع إن لم نقل انعدامها،واتبعنا في بحثنا خطة شملت مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ،حيث تناولنا في الفصل الأول تطور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية،وأسباب ازدواجية اللغة ، والرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وإشكالية الهوية ،وتطرقنا في الفصل الثاني إلى صورة المرأة في الرواية الجزائرية ، المرأة التاريخية في الرواية الجزائرية ،والمرأة الأسطورية، والمرأة الثورية.أما الفصل الثالث وهو الفصل التطبيقي تناولنا فيه صورة المرأة في رواية الحريق حيث عرفنا من خلاله بمحمد ديب ، وأعطينا ملخص عن رواية الحريق،ثم كيف جاءت صورة المرأة في رواية الحريق لمحمد ديب ، وخاتمة هذا البحث أجملنا فيها أهم النتائج التي استخلصناها من البحث.

أدرار في 29-04-2018

عربي فران / سعدان فوندو

الفصل الأول

تطور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

المبحث الأول:تطور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

المبحث الثاني: أسباب ازدواجية اللغة

المبحث الثالث: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وإشكالية الهوية

1-أ – تطور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية :

كانت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنس تي سابقة تاريخيا على نظيرتها المكتوبة باللغة العربية،حيث كانت سنوات الخمسينات من القرن الماضي فترة تاريخية ،شهدت ازدهار الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي محاولة التعبير عن قضايا المجتمع الجزائري ،الذي كان يمر بمخاض اجتماعي وسياسي عسير ،كانت نتيجته سنة 1954م هي انفجار الثورة التحريرية التي وضعت حدً ا للتواجد الفرنسي بالجزائر،في هذه الفترة كانت اللغة العربية (رغم نص رضا حوحو المؤسس)لا تزال غارقة في خطاباتها الإصلاحية متأثرة بنهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإصلاحي والتربوي،الذي اعتمد على الشعر والمقالة في تبليغ رسالته التربوية الإصلاحية،ولم ينتبه للرواية كجنس أدبي له حضور في المجتمعات التي تنفتح على الحداثة الاجتماعية والأدبية.

فأول رواية كتبت باللغة الفرنسية كانت سنة 1920م للقايد بن الشريف (1879م-1921م) تحت عنوان " أحمد بن مصطفى قومي" [1]،ثم تبعت بروايات أخرى ففي سنة 1925م أ صدر عبد القادر حاج حمو(1891م-1955م) رواية تحت عنوان (زهرة زوجة المنجمي)،وقد عدت هذه الرواية لفترة طويلة هي الأولى في تاريخ الأدب الجزائري، إذن بين سنة (1919م و 1944م) ظهرت ثماني روايات جزائرية وبين (1945م و 1951م) صدرت ست روايات منها سنة1951 م رواية (ابن الفقير)مولود فرعون على حساب الكاتب [2] .

إن جمعية العلماء المسلمين ونهجها الإصلاحي كان عاملا رئيسا في تأخر ظهور جنس الرواية باللغة العربية في الجزائر المستعمرة،رغم ظهور هذا الجنس باللغة الفرنسية على يد كتاب جزائريين أثناء الفترة نفسها،وهذا الرأي هو ما يذهب إليه عامر مخلوف،حيث يؤكد أنه منذ "بروز الحركة الوطنية كانت الأولوية – دوماً – للخطاب السياسي الأيديولوجي،فلم يكن أدباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يهتمون بالناحية الجمالية،بقدر ما كانوا

[1] ينظر أحمد منور،الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر2007 م،ص 89

[2] ينظر أم الخير جبور،الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث ، جامعة وهران،سنة 2010 /2011م ، ص 21.

يهتمون بالدلالة السياسية والاجتماعية في كتاباتهم. فبقي الشعر في حدود القوالب التقليدية،وتخلّف عن شعر المهجر وتجديداته،ونال فن المقالة الحظّ الأوفر من الكتابة النثرية ثم كان المقال القصصي –فيما بعد – أقصى ما بلغه الفن القصصي قبل حرب التحرير " [1]،هذا الرأي هو نفس ما يذهب إليه واسيني الأعرج [*]،وكذا رمضان حمود الذي يقول عن الجهود الأدبية لأعضاء وأنصار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : "إنهم بلغوا الأمانة التي استودعت في أيديهم إلى أيدينا بغير خيانة ولا تقصير لا أكثر ولا أقل والأمانة هي اللغة العربية لا غير " [2]،فالجمعية ربطت الأدب والنقد بأهدافها وفق رؤية إصلاحية ترى ضرورة الحفاظ على مقومات الهوية الجزائرية من لغة ودين بعيدا عن أية إضافة لما كان موجودا في المجال الأدبي المتوارث عن الأسلاف،وهذه الرؤية رغم ضرورتها الحضارية في ظل الظروف التي عاشتها الجزائر المستعمرة وخصوصا مع السعي الدءوب للإستعمار الفرنسي لمحو كل المقومات التي تتعلق بهوية الشعب الجزائري وخصوصا اللغة والدين،غير أن هذه الرؤية الإصلاحية،وقفت حجر عثرة في طريق نهضة أدبية على غرار ما عرفته الأقطار العربية المشرقية منذ أواخر القرن 19 م

جعفر يابوش من الكتاب الذين كانت لهم رؤية في هذا وذلك في كتابه:"الأدب الجزائري الجديد،التجربة والمآل "يرى عكس هذا الرأي ويؤكد على الدور الكبير الذي لعبته جمعية العلماء المسلمين ورجالاتها في النهضة الأدبية في الجزائر حيث يرجع الفضل في "تحريك الهمم وشحذ القرائح وسريان الأقلام إلى زعماء الحركة الإصلاحية في الجزائر،لأنها جعلت من صحافتها المكتوبة ومن منتدياتها الفكرية ومدارسها التعليمية،المجال الحر للتنافس بين الأدباء والمفكرين ومن مختلف المشارب الفكرية والمذاهب والنزعات الأدبية.

وهذا التأكيد على الدور الكبير لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الأدبية هو ما يؤكد عليه

[1] عامر مخلوف، الرواية والتحولات في الجزائر،اتحاد الكتاب العرب،دمشق، 2000م،ص 10.

[*] الأعرج واسيني كاتب وروائي وأستاذ جامعي ،ولد في 8 أوت 1954 م بقرية سيدي بوجنان بتلمسان.

[2] جعفر بابوش،الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل ، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية،الجزائر، 2007م، ص 16.

أيضا الناقد عبد المالك مرتاض * في أطروحته الموسومة ب (فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931 م– 1954 م) حيث قام بجمع " مادة بحثه هذه من 32 مجلة وصحيفة جزائرية صادرة بين 1925 م و 1956 م مستخرجا منها ستة عشرة قصة ورواية واحدة وإحدى عشر نصا مسرحيا {هكذا}،ومعظم هذا الإنتاج نشر على مجلات جمعية العلماء المسلمين..." [1]

وإذا كان إعطاء حكم نهائي ومطلق على النهج الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودوره في تأخر ظهور جنس الرواية بالجزائر،وفي الوقوف حجرة عثرة في طريق التجديد الأدبي بسبب لغتها الدينية أولا،ونظرتها الماضوية فيما يتعلق بفنون الشعر والنثر العربيين ثانيا،فإننا نميل لتبني الرأي القائل بأن دور الجمعية لم يأت بإضافة نوعية بالقياس إلى ما كان يجري من حولها،سواء في المشرق العربي الذي شهد نهضة أدبية حقيقية،أو في الجزائر التي شهدت بعض المحاولات الروائية من طرف جزائريين يكتبون باللغة الفرنسية سرعان ما تحولت إلى ظاهرة أدبية خلال فترة الخمسينات،وهذا ما سنتطرق إليه من خلال الحديث عن نشأة الرواية الجزائرية ذات اللسان الفرنسي.

تشكل جمعية العلماء المسلمين الوجه المشرق للفكر الإصلاحي فصحافة الجمعية كانت الصدر الذي ضم إليه كافة النتاجات الأدبية التي كانت تؤمن بالخطوط العريضة لشعارات الجمعية.ولا غرو أن نجد أكثر من 90 من الكتابات الإبداعية ذات التعبير العربي قبل الاستقلال وبعده بقليل ذات نزعات إصلاحية إلا فيما نذر.[2]

وقد أسس هذا الاتجاه للرواية المكتوبة بالعربية مثل(غادة أم القرى) لأحمد رضا حوحو،و(الطالب المنكوب) ل عبد المجيد الشافعي،و(صوت الغرام) ل محمد المنيع،و(حورية) ل عبد العزيز عبد المجيد،"فالروايات التي تنضوي تحت هذا الاتجاه الإصلاحي ليست روايات بالمعنى الكامل ،لتأثرها بالأدب العربي الحديث،فقد اتخذ معظمها شكل المقامات لكن يكفيها أنها أسست للرواية العربية في الجزائر. "[1]

---

* عبد المالك مرتاض أستاذ جامعي وأديب جزائري من مواليد 10 أكتوبر 1935م بتلمسان.

[1] جعفر بابوش ،الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل ، ص18.

[2] ينظر الأعرج واسيني ، اتجاهات الرواية العربية الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1986 م ، ص 126

[1] الأعرج واسيني ،اتجاهات الرواية العربية الجزائرية،ص 129

إن هذا الاتجاه،حتى وإن لم يكن له قيمة مفيدة من حيث المضامين،تتجلى قيمته الكبرى في كونه أعطى مبررا لوجود الشكل الروائي في الجزائر وكان عاملا في ظهور المدرس ة الجزائرية في الخمسينات فما فوق مع محمد ديب وكاتب ياسين ومالك حداد وآسيا جبار وغيرهم ...الخ هؤلاء أخذوا كل ذلك التراث وأسبغوا عليه مضامين جديدة،مضامين ثورية تحررية. لقد جاءت كتابات هؤلاء الأدباء حاملة بين طياتها نبض آلام الشعب الجزائري فكانوا شهودا على إثم الاستعمار وإجرامه وموته في النهاية .

1-أسبقية الرواية ذات التعبير الفرنسي :

قبل الحديث عن أسبقية الرواية ذات التعبير الفرنسي لابد من الإشارة إلى أول نص كتب باللغة الفرنسية.يرجع المؤرخ والباحث جان ديجو أول نص أدبي كتبه جزائري باللغة الفرنسية إلى سنة 1891 م،وهو عبارة عن قصة بعنوان (انتقام الشيخ) كتبها محمد بن رحال،مستقاة من التقاليد الاجتماعية الجزائرية،ونشرتها المجلة الجزائرية التونسية الأدبية والفنية .[1]

بالرغم من المحاولات الأولى البسيطة في التأليف الروائي باللغة العربية في الجزائر مع رضا حوحو (غادة أم القرى 1947م) وعبد المجيد الشافعي (الطالب المنكوب)،إلا أن الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي تعتبر سابقة تاريخيا من حيث الظهور عن مثيلتها المكتوبة باللغة العربية،حيث شهدت سنوات الخمسينات من القرن الماضي ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي،في حين تأخر ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية إلى غاية سبعينيات القرن الماضي على يد عبد الحميد بن هدوقة بروايته (ريح الجنوب)سنة 1971م،والطاهر وطار برواياته الأولى خصوصا رواية اللاز التي تعتبر علامة فارقة في تاريخ المتن الروائي الجزائري.[2]

[1] أحمد منور ،الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص87

[2] عمار بن طوبال عن ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية،تاريخ الزيارة، الأحد2018/2/25 م ، الساعة 19:00 (الرابط : koutama18.blogspot .com)

عمر بن قينة يقول في كتابه في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما :" رواية (ريح الجنوب) لعبد الحميد بن هدوقة هي الرواية التي تكاد تجمع – قطعيا- آراء النقاد والباحثين على أنها البداية الفعلية أو النشأة الجادة لرواية جزائرية ناضجة بلسان الأمة(اللغة العربية) التي كتبها في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدي عن الثورة الزراعية،فأنجزها في 5 نوفمبر 1970م تزكية للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف من عزلته،ورفع الضيم عن الفلاح،ودفع كل أشكال الاستغلال للإنسان."[1]

تأخر ظهور الرواية الفنية المكتوبة باللغة العربية إلى فترة السبعينات،ويرجع ذلك إلى أن هذا الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل،وإلى صبر،ثم يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء به،وفي مقدمة هذه العوامل أن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة العربية اتجهوا إلى القصة القصيرة لأنها " تعبر عن واقع الحياة اليومي خاصة أثناء الثورة التي أحدثت تغيرا عميقا في الفرد،أما الرواية فإنها تعالج قطاعا من المجتمع يتشكل من شخصيات تختلف اتجاهاتها ومشاربها،وتتفرع تجاربها وتتصارع أهواءها ومواقفها " [2] ،ومن ثم كان الكاتب يحتاج إلى تأمل طويل،بالإضافة إلى أن الرواية تتطلب لغة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة،هذا ما لم يتوفر لها سوى بعد الاستقلال .

تعتبر سنة 1950م هي سنة ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي على يد كوكبة من الروائيين الجزائريين الذين تعلموا في المدرسة الفرنسية وحصلوا نصيبا وافرا من الثقافة الفرنسية دون أن يفقدوا إحساسهم المرهف بنبض مجتمعهم الذي كان يعيش وقتها حركية استثنائية على جميع الأصعدة السياسية والثقافية والاجتماعية،في هذه السنة ألف مولود فرعون رواية (ابن الفقير)،ليتبعها بروايات أخرى صدرت خلال عشرية الخمسينات وهي روايات : (الأرض والدم)عام 1953م،(الدروب الوعرة)سنة 1957م،كما ألف مولود معمري (الهضبة المنسية)عام 1952م،ورواية (السبات العادل)عام 1955م،لينشر بعد الاستقلال روايته الملحمية التي تحولت إلى فيلم سينمائي حصد السعفة الذهبية بمهرجان كان السينمائي عام 1975م ،وهي رواية (الأفيون والعصا) سنة 1965م. أما محمد

[1] عمر بن قينة ،الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاماديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط2، 2009 م، ص 196-198

[2] محمد مصايف،الرواية العربية الجزائرية الحديثة،الدار العربية للكتاب،الجزائر ،1983م،ص 8

ديب فقد نشر ثلاثيته الشهيرة في عشرية الخمسينات بداية ب (الدار الكبيرة)عام 1952م،ثم (الحريق)عام 1954م والتي سنسلط عليها جانبا من الدراسة،ليلحقها برواية (النول) عام 1957م،ويواصل بعدها نشر باقي أعماله الرواية التي حضت بشهرة عالمية واسعة خصوصا في المجال الثقافي الفرانكفوني،وخلال نفس العشرية التي شهدت ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي،أي عشرية الخمسينات من القرن الماضي نشر كاتب ياسين روايته الشهيرة (نجمة)سنة 1956م،كما نشر مالك حداد روايته (الانطباع الأخير)سنة 1958م،ورواية (سأهبك غزالة)سنة 1959م،ليتلوها لاحقا برواية (التلميذ والدرس)سنة 1960م،وكذا رواية (رصيف الأزهار لم يعد يجيب)سنة 1961م،أما الصوت النسائي الأكثر بروزا ضمن هذه الكوكبة فقد مثلته آسيا جبار،التي نشرت روايتها الأولى (العطش)عام 1957م،لتتلوها برواية (الجازعون)سنة 1958م،ورواية (أبناء العالم الجديد)سنة 1962م.[1]

إن ما يميز هذه الكوكبة من الروائيين الجزائريين والذين حصلوا جميعا على شهرة وحضور كبيرين على المستوى النقدي والإعلامي وكذا على نسبة عالية من المقروئية خصوصا لذا عموم القراء الناطقين بالفرنسية،هو كونهم خريجي المدرسة الفرنسية التي أتاحت للجزائريين تلقي نصيبا من التعليم،وكذا ارتباطهم رغم ثقافتهم الفرنسية بهموم مجتمعهم،وتعبيرهم عن عمق المجتمع الجزائري مستعملين اللغة الفرنسية كوسيلة توصيل للرؤى الإبداعية التي يتبنونها ويدافعون عنها،وما ميز كتاباتهم أيضا،هو إعطاء صوت للجزائريين داخل المتن الروائي المكتوب باللغة الفرنسية،حيث أن الرواية الفرنسية عموما لم تهتم بوضع الجزائريين .

تتميز الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية عن مجموع المتن الروائي الفرنسي،حيث أن الروائيين الجزائريين أكثر معايشة للواقع الجزائري ومشاكله وإشكالاته من زملائهم الفرنسيين "حيث أنهم لم يمارسوا الأدب إلا بعد التجارب التي اقتنوها في مختلف الحرف،لذلك جاءت موضوعاتهم الأدبية تعبر عن خبرة شخصية بالمشاكل اليومية . وهكذا نجد كاتب ياسين مثلا،قد احترف الصحافة والعمل في الموانئ والزراعة قبل أن يمارس الأدب. أما محمد ديب فقد اشتغل محاسبا ونساجا ومعلما وصحفيا قبل أن يدخل ميدان الأدب. ومن المهم أن نلاحظ أنهم جميعا قد مارسوا

[1] عمار بن طوبال ، عن ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية .

حرفة التعليم..."[1] ،ولهذا نجد أن الروائيين الجزائريين وهم يكتبون بالفرنسية لم ينسلخوا عن مجتمعهم ولا تجردوا من هويتهم،رغم إحساسهم بشيء من التمزق بين ثقافتين،ثقافة فرنسية ذات أفق عالمي اكتسبوها من خلال دراستهم في المدارس الفرنسية ومن خلال سفر معظمهم إلى فرنسا والعيش فيها لفترات معينة والتأثر بأسلوب الحياة الغربي،وبين ثقافة أصيلة عربية وبربرية لا تزال تؤمن بالغيبيات التي تحكم حياة الفرد،وتسيطر عليها "جميع التقاليد والعادات والطبائع والتصورات التي تريد أن تسجنه في قيود لا تنفصم ."[2]

إن كتاب الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي في تلك الفترة المبكرة لميلاد الرواية الجزائرية قد تحدثوا وبكثير من الصدق عن معاناة الإنسان الجزائري وطموحاته،ونقلوا مشاكله اليومية من فقر وبطالة وهجرة وظلم ورغبة في الارتقاء و الانعتا ق،من الواقع المعيش إلى العا لم الروائي وفضاءه الإبداعي،متجاوزين ما آلت إليه وما انفردت به الرواية الفرنسية،وما تميزت به في تناولها للفرد الجزائري والتي ظلت تركز دوما على العناصر البدائية التي تستهوي القارئ الغربي وترضي ذائقته التي شكلتها المدرسة الإستشراقية.[3]

لقد كشفت كتابات هؤلاء الكتاب وبالخصوص الأعمال الروائية منها عن حالة البؤس الاجتماعي التي وصل إليها الشعب الجزائري،لاسيما في فترة الحرب الكبرى ،التي طحنت معظم فئات الشعب،ووصلت بهم إلى حافة الكارثة من الناحية الاقتصادية،كما عبرت هذه الأعمال عن وعي جديد،ونفس غير معهود في الكتابة،يتغلغل إلى أعماق الشعب ،ويسجل نبض الحياة اليومية في صفوف الجماهير،ويصور معاناة الفلاحين والحرفيين في القرى والأرياف خاصة وفي المدن،ويعبر عن صراعهم اليومي مع شظف العيش،وقسوة الطبيعة،وظلم ألسلطات واستغلال المستوطنين لجهدهم وعرقهم .

2- أبرز الكتاب الذين كتبوا باللسان الفرنسي :

[1] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ،دار الرائد للكتاب ،الجزائر،ط5،2007م- ص 96.

[2] المرجع نفسه، ص 98.

[3] عمار بن طوبال ، عن ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

من أبرز وأشهر الكتاب الذين كتبوا باللسان الفرنسي نجد :

1-مولود فرعون:

ولد الأديب مولود فرعون يوم 08مارس 1913م بقرية تيزي هيبل . التابعة لولاية تيزي وزو . تحصل سنة 1935م على منصب معلم للغة الفرنسية بمدرسة تاوريرت موسى التي لا تبعد كثيرا عن مسقط رأسه وفي سنة 1946م عين مديرا لنفس المدرسة.وترأس سنة 1952م إدارة الدروس الابتدائية بعين الحمام.وفي سنة 1957م عين على رأس إدارة مدرسة الناظور،وعين 1960م مفتشا للمراكز الاجتماعية التي أنشئت سنة 1955م بمبادرة من جيرمان تيليون.[2]

[2] بشير بلاح.تاريخ الجزائر المعاصر (1830م- 1989م) ، دار المعرفة ، الجزائر،ج 2، ص 375.

وفاته:

في 15 مارس من عام 1962م فاجأته فرقة من المنظمة العسكرية السرية مع خمسة من أصدقائه في اجتماع و أوردته قتيلا .رحل وترك كلمته الخالدة "أكتب بالفرنسية لكي أقول للفرنسيين بأني لست فرنسيا".[1]

من أشهر مؤلفاته:

"ابن الفقير 1950م" هي أشهر أعمال مولود فرعون. لقد ترجمت الرواية إلى عدة لغات وحازت سنة صدورها على الجائزة الأولى لمدينة الجزائر،كذلك" الأرض والدم 1953م" ، "الدروب الوعرة1957م".

2-مولود معمري:

روائي وباحث أمازيغي جزائري في اللسانيات الأمازيغية،ولد في 28 ديسمبر 1917م بتاوريرت ميمون في آيت يني (القبائل الكبرى) انتقل في الثانية عشر من عمره إلى مدينة الرباط للدراسة التي واصلها في الجزائر ثم في باريس. مارس مهنة التعليم ابتداء من سنة 1947م في المدية وفي جامعة الجزائر 1962م.كان أول رئيس لاتحاد الكتاب الجزائريين سنة 1963م،لكنه لم يدم طويلا في منصبه نظرا للخلافات الإيديولوجية بين أعضاء الإتحاد حول دور المثقف في المجتمع.[2]

وفاته:

توفي مولود معمري في 26 فبراير 1989م في حادث سيارة بعين الدفلى بعد عودته من ملتقى ب وجدة (المغرب) .دفن في مسقط رأسه بتاوريرت ميمون (تيزي وزو) في 28 فبراير 1989 م. وكانت جنازة مهيبة حضرها عشرات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال .[3]

---

[1] زهرة ديك،من روائع الأدب الجزائري ،دار الهدى،الجزائر،2014 م،ج 1 ،ص 223

[2] المرجع نفسه،ص 410

[3] بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر ،ج2، ص 414- 415

من أشهر مؤلفاته:

الأفيون والعصا (1956م رواية) ،الربوة المنسية (رواية 1952م)،غفوة العادل (رواية 1952م)،العبور (1982رواية).

3-مالك حداد :

من مواليد 05 جويلية 1927م بقسنطينة، شاعر،أديب،روائي،من ألمع الكتاب الجزائريين الذين كتبوا مؤلفاتهم وأبحاثهم باللغة الفرنسية. ولد ونشأ في قسنطينة،وبدأ حياته الأدبية في الأربعينيات بالكتابة في المجلات الفرنسية،وعمل في هيئة الإذاعة الفرنسية،وبعد استقلال الجزائر عين مديرا للثقافة بوزارة الإعلام والثقافة،ثم مستشارا مكلفا بالدراسة والبحث في مجال الإنتاج المكتوب باللغة الفرنسية. انتخب أمينا عاما لاتحاد الكتاب الجزائريين.[1]

وفاته:

توفي مالك حداد يوم 02 جوان 1978م بقسنطينة [2].اشتهر بمقولته " الفرنسية منفاي لذا قررت أن أصمت"[3]

من مؤلفاته بالفرنسية :

الشقاء في خطر (شعر 1956م)،الانطباع الأخير (رواية 1958م)،سأهبك غزالة (رواية 1959م)،التلميذ والدرس (رواية 1960م)،رصيف الأزهار لم يعد يجيب (رواية 1961م)،اسمع وسأناديك (شعر 1961م).ترجمت أغلب أعماله إلى اللغة العربية.

[1] عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى إلى العصر الحاضر ،دار الأبحاث،الجزائر،ط 1،2013م ،ص 441

[2] المرجع نفسه ،ص 441

[3] زهرة ديك،من روائع الأدب الجزائري ،ج 2 ،ص12

4-آسيا جبار:

ولدت في 30 يونيو 1936م في شرشال غرب الجزائر العاصمة . نالت الشهرة منذ سنة 1957م بفضل روايتها العطش ، تلقت دراستها الأولى في المدرسة القرآنية في المدينة قبل أن تلتحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية في مدينة موزاي،ثم البليدة فالجزائر العاصمة.تابعت در استها في فرنسا حيث شاركت في إضرابات الطلبة الجزائريين المساندين للثورة ولاستقلال الجزائر[1].

تعتبر آسيا جبار من أشهر روائيات الجزائر ،ومن أشهر الروائيات في شمال إفريقيا،تم انتخابها في 26 يونيو 2005 م عضوا في أكاديمية اللغة الفرنسية،وهي أعلى مؤسسة فرنسية تختص بتراث اللغة الفرنسية،حيث تعتبر أول شخصية من بلاد المغرب والعالم العربي تصل لهذا المنصب.روى هذا الصوت النسائي تحررا شبهه البعض بالتأرجح بين الثقافة العربية والتربية الفرنسية على مستوى شريحة ثرية من سكان المدينة . إنما ،ومنذ أن نشرت هذه الكاتبة روايتها أطفال العالم الجديد والقبرات السادجة ، ظلت فكرة تحرر المرأة راسخة لديها وارتبطت بالنضال من أجل الاستقلال الذي شكلت هاتان الروايتان أفضل لوحاته.[2]

وفاتها:

توفيت آسيا جبار يوم السبت 07 فبراير 2015 م في أحد مستشفيات العاصمة الفرنسية باريس،ودفنت في مسقط رأسها شرشال تنفيذا لوصيتها. يقول الدكتور محمد مصايف : " تشتهر بعمق تفكيرها وصراحتها في دراستها ، وهو شيء قلما نعثر عليه لذا زملائها الكتاب في نفس اللغة ".[3]

---

[1] جمال الدين بن الشيخ ،معجم أدباء اللغة العربية والأدب الفرانكفوني المغاربي ،ترجمةالدكتور مصباح الصمد ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1،2008م ،ص162.

[2] المرجع نفسه،ص162-163

[3] محمد بوزواوي،معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من1798م إلى 2009م،الدار الوطنية للكتاب والنشر والتوزيع،الجزائر، 2009م ،ص 175

من أشهر مؤلفاتها:

العطش (1957م رواية)،القلقون (1958م رواية)،أطفال العالم الجديد (1962م رواية)،الجزائر السعيدة (شعر1969م)،أبيض الجزائر (قصة1992م).[1]

محمد ديب كذلك من الكتاب الذين كتبوا باللسان الفرنسي وسنتطرق لترجمته في الفصل الثالث .

إن استعمال مولود فرعون،مولود معمري،محمد ديب وغيره لهذه اللغة كان نتيجة لفرض هذه اللغة على الشعب في المدارس والشوارع والإدارات والمستشفيات وفي كل مكان ونتيجة لمحاربة فرنسا للعربية لتصبح في بلدها اللغة الثانية وقد يبدو هذا غريبا ومرفوضا في الظروف العادية لكنه يتحول إلى أمر طبيعي في الظروف الخاصة التي مرت بها الجزائر،البلد الذي ظل الاحتلال الفرنسي به فترة ليست باليسيرة (132سنة)هذا الظرف هو ما جعل الفرنسية تقوم بالدور الذي كان من الطبيعي والمفترض أن تقوم به اللغة العربية ،إن خصوصيات اللغة الفرنسية لا تؤهلها لتحتل هذا الموقع في حياة الجزائريين لكن الخصوصية الجزائرية والظروف التاريخية هي التي جعلتها تكون اللغة الأولى في الإدارة والمدرسة والشارع .

[1] محمد بوزواوي ،معجم الأدباء والعلماء المعاصرين،ص 175

ب- أسباب ازدواجية اللغة :

إن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وليد عوامل كثيرة ،من أبرزها الاحتلال الفرنسي الاستيطاني للجزائر والذي اتخذ من سياسة التجنيس وسيلة لطمس الهوية الجزائرية والعربية والإسلامية،واستعمل مختلف الطرق بغية تحقيق ذلك منها :حظر تعليم اللغة العربية ومحاربة المدارس القرآنية والزوايا التي اضطلعت بمهمة تعليم الجزائريين لغتهم ودينهم وتقويض دور المسجد،وفي المقابل قام الاحتلال الفرنسي بتشجيع الحملات التبشيرية وإنشاء المدارس الفرنسية المختلطة في المدن والتي ضمت أغلبية فرنسية وأقلية جزائرية لتكريس تعلم اللغة الفرنسية باعتبارها لغة ثقافة وحضارة ولتكوين جيل جديد يتطلع إلى القيم الفرنسية ويعتنق الأفكار التي تشيد بفرنسية الجزائر.

لقد أشار أحمد بن النعمان* إلى أسباب ازدواجية اللغة في كتابه التعريب بين المبدأ والتطبيق حيث يقول: " الأسباب التي أدت إلى الازدواجية اللغوية في الجزائر تمثلت في عدة عوامل من بينها التاريخية والثقافية والاجتماعية خلفتها بالدرجة الأولى المرحلة الاستدمارية التي حاولت طمس الشخصية الوطنية عن طريق محاربة اللغة العربي ة "[1]،وكما جاء في كتاب الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ل أحمد منور " ...الاستعمار الفرنسي الذي عمل هدم البنيات اللغوية والثقافية التي كانت قائمة من قبل ليحل محلها بنيات أخرى لا علاقة لها في الغالب بلغة البلد وثقافته ".[2]

* الدكتور أحمد بن نعمان من مواليد 1944 بقرية الخروبة، عمل كموظف بجامعة الدول العربية، أعد رسالة الماجستير حول موضوع التعريب في الجزائر سنة 1978م.

[1] أحمد بن نعمان ، التعريب بين المبدأ والتطبيق،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 1981 م،ص 9

[2] أحمد منور، الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي ،ص135

يقول كذلك عبد الله الركيبي * في كتابه دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث :" لقد حاول الفرنسيون ، على مدى العهد الذي استعمروا فيه أرض الجزائر العربية ، أن يخربوا القيم الروحية هناك،فأقاموا بين سكان الجزائر وإخوانهم من سكان المغرب العربي ستارا حديديا ،حتى أصبحت جميع معالم الجزائر مجهولة لنا تماما ،وحاولوا —إلى جانب ذلك– أن يقتلوا اللغة العربية في الجزائر ويمنعوا تعليمها إلا في أضيق نطاق بدائي ، لكي تموت هذه اللغة ، تقديرا منهم لأهمية اللغة بين مقومات القومية .[1]

كل هذه العوامل وغيرها أسهمت في خلق الازدواجية اللغوية وتنميتها مما أوجد جيلا من الكتاب الجزائريين ،يكتبون بلسان وقلم أجنبيين بالضرورة لعدم انتباههم لهذه الظاهرة بسبب سيادة اللغة الفرنسية ، جاء في كتاب نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ل عبد المالك مرتاض :"وقد ظل هؤلاء الكتاب في معظمهم معجبين كل الإعجاب بالحضارة الفرنسية ،بوجه خاص والحضارة الغربية بوجه عام جاهلين بالتاريخ العربي غير ملمين بمعالم الحضارة الإسلامية إذ أنى لهم أن يدركوا شيئا من ذلك وهم محرومون من الإلمام الكافي بلغتهم التي بواسطتها يطلعون على التراث العربي وكنوز حضارته الغنية بمعطياتها الإنسانية إطلاعا حقيقيا خاليا من الشوائب والشرور "[2]،هذا والى جانب خضوع الواقع الثقافي للواقع السياسي وتطوره في ظروف مأساوية أدت حتما إلى تناقضات اجتماعية وفكرية أفرزت هي الأخرى بدورها أدوات تعبيرية أجنبية.

إضافة إلى ذلك،فتأخر الثقافة العربية في الجزائر أوجد تخلفا في اللغة العربية،مما أوجد فجوة كبيرة في الحصول على أسلوب لغوي روائي مرن – في الأدب الجزائري بعامة والقصصي بخاصة – فكان من البديهي أن

* ولد عبد الله الركيبي في الجزائر سنة 1928 ،عضو في جمعية النقد الأدبي،شغل منصب أستاذ في جامعة الجزائر، توفي عن عمر ناهز 83 عاما.

[1] عبد الله الركيبي ،دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ,دار الكتاب العربي,الجزائر2009 م، ص8-9

[2] عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ، ص26

يلجأ الكتاب الجزائريون إلى استخدام الأداة الأجنبية لمل ء الفراغ فأسهموا بطريقة غير مباشرة في تطور الفن الروائي نسبيا .[1]

كل هذه الأسباب وغيرها كانت وراء ازدواجية اللغة ،لكن رغم هذا كله فإن معظم اللذين كتبوا وعبروا باللسان الأجنبي،عبروا عن الواقع المعيش للمجتمع الجزائري،وعن السياسة الاستدمارية التي مارستها فرنسا على الجزائريين .

الكتاب الجزائريون واختيارهم الكتابة باللغة الفرنسية :

1 – مولود فرعون:

كانت الكتابة الروائية بالنسبة لمولود فرعون تعريفا للذات وتطبيقا للواقع فهو لا يتطرق إلا إلى القضايا التي يعيشها ويفهمها بغية كشف أوجه الحقيقة ويتضح ذلك من خلال رواياته (ابن الفقير، الأرض والدم ، الدروب الوعرة) ما يدل عن يقظته وتوظيفه للذاكرة والفضاء المادي والتراثي القبائلي في النسيج الروائي.

استعمل مولود فرعون في رواياته عبارات تنتمي إلى اللغة العربية واللهجة الجزائرية والقبائلية،خاصة عند تصوير المجتمع القبائلي فهو يذكر الكانون والفوطة الحمراء،رمز المرأة القبائلية وتسميات الأدوات المستعملة في الحياة اليومية ومفردات عديدة لا توجد في قواميس اللغة الفرنسية.[2]

الكتابة عند فرعون لها معنى خاص وهدف خاص،كان الرجل يكتب بعيدا كل البعد عما كان يسبوا إليه الكتاب في غالبيتهم،الطامحين للشهرة والتميز و الوجاهة الثقافية،كان يكتب المه ويحكي جرحه مسخرا قلمه

[1] عبد الله الركيبي ، القصة الجزائرية القصيرةص 249

[2] فاطمة الزهراء حبيب، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية،ص50

ليشهد على معاناة شعب،ويسجل وقائع وأحداث اجتماعية وتاريخية لابد من تبليغها للأجيال بحرارتها وصدقيتها وشحنتها العاطفية. فجاءت أعماله زاخرة بمقاطع ومشاهد حياتية نابضة تحكي اللحظة بكامل وقعها وتفاصيلها الصادمة.[1]

يعتبر مولود فرعون من أبرز صناع الأدب الجزائري الحديث وأحد الأدباء الذين خلدوا بفضل كتاباتهم ومبادئهم النضالية الرافضة للظلم الاستعماري وسبب حرية الشعوب وقهر الإنسان،كان إيمانه راسخا قويا بأهمية العلم باعتباره السلاح الأمثل لمقاومة المستعمر الفرنسي الذي كان يسعى لبسط سياسية التفقير والتجهيل في صفوف الجزائريين. لكن هذه السياسة الاستعمارية التمييزية الرامية إلى ترك أبناء الجزائر يعانون الحرمان والجهل، لم تزده إلا عزيمة على تحدي قهر المستعمر و قساوة الطبيعة والحياة التي كانت تفتقر لأبسط الظروف المعيشية.

2- محمد ديب :

كانت الكتابة بالنسبة لمحمد ديب جهادا للحرية واعتبرها أداة لا تقل أهمية عن الأسلحة الحربية ،حيث اعتبرت كتاباته محرضا للثورات [2]،فكانت كتاباته الأولى سهلة ذات لغة معبرة جدا وتحررت عبر ثلاثيته الشهيرة(الدار الكبيرة ،الحريق،النول)،ومما ميزه عدم انقطاعه عن الكتابة كما حدث مع غيره من الكتاب رغبة منه في مد يد العون لشعبه بالكلمة ومعالجة الحالات الإنسانية التي فقدت الأمل في العيش الكريم وبلغ منها اليأس مبلغا عظيما.

[1] زهرة ديك ،من روائع الأدب الجزائري، ج 1،ص 224

[2] أمين الزاوي ،الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية،بحث في تطور علاقة الإنتاج الروائي بالإيديولوجيا من1830 م إلى1982م،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،دمشق-سوريا، 1983م،ص 320

ويرى محمد ديب في الكتابة باللغة الفرنسية أمرا طبيعيا ولا يدعو إلى التعجب أو الدهشة فهو أمر واقع فعلى الرغم من تمكنه من اللغة الفرنسية وامتلاكه لغة فنية مشهود له بها فلم تخل أعماله من اللغة العربية تمثلها مفردات جزائرية مثل :"دير الخير و انساه"،ما يوحي بانتماء ديب العربي وتمسكه بالأصالة الجزائرية ويبرهن على فشل الثقافة الفرنسية لفرض نفسها أمام الحضور القوي للبيئة العربية للتراث اللغوي المحلي.[1]

يقول محمد ديب متحدثا عن هويته وعلاقتها باللغة :"إن أخيلتي وتصوراتي نابعة من اللغة العربية فهي لغتي الأم،إلا أنها مع ذلك تعتبر موروثا ينتمي إلى العمق المشترك. أما اللغة الفرنسية فتعتبر لغة أجنبية مع أني تعلمت القراءة بواسطتها وقد خلقت منها لغتي الكتابية".[2]

إن للروائي الجزائري محمد ديب بصماته الواضحة التي لا يمكن أن نتجاهلها فيما يسمى بأدب مقاومة الاستعمار فثلاثيته التي ارتبطت بالإنسان الجزائري المسلم الذي يعيش المأساة بكل أبعادها تسجيل للمرحلة التاريخية العصيبة من أوجاع ومعاناة الشعب الجزائري،ولعل ارتباط هذه الثلاثية بفكر الجزائريين ظاهرة مميزة مثيرة ومحفزة للبحث،لقد أكمن لمحمد ديب هذا الرجل الثائر أن يصور البعد الإنساني لمأساة الجزائريين في الجوع والمرض والإحساس بالضياع،وهذه المشاعر كانت كلها تحرض على الثورة فهي الخلاص الذي يمكنه أن ينهي هذه المعاناة.

3- مولود معمري:

يعتبر صاحب رواية الأفيون والعصا أن اللغة هي الأداة الفريدة للتحرر والتواصل مع باقي العالم،فاللغة الفرنسية ليست أداة للخيانة إنما ناقل للحقائق وترجمة لصور الواقع،ولا تخلو رواياته كغيره ممن سبق ذكرهم من مفردات تنتمي إلى معجم لغة اللهجة الجزائرية .[3]

[1] فاطمة الزهراء حبيب ،ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية،ص52

[2] زهرة ديك ،من روائع الأدب الجزائري، ج 1،ص 408

[3] فاطمة الزهراء حبيب ،ترجمة العناصر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ص52

مولود معمري رجل يعتبر ذاكرة حية لكل الجزائريين ،لا تزال الشعوب تستقي بنهم من إنسانيته الخالدة،وكتبه المترجمة ،رجل صنعت الثقافة والأدب منه اسما أكثر مما تصنعه السياسة والمال،مولود معمري أو "الدا مولود "الكاتب الذي كافح من أجل الهوية الأمازيغية،ولم يكل من تنشيط الجلسات الفكرية واكب وعايش مولود فرعون كاتب ياسين في بداياته،ناضل بقلمه وأفكاره..من أجل وطنه الجرائر أعماله الروائية وغيرها شاهد على العصر،الأفيون والعصا الربوة المنسية غفوة العادل دليل رفضه للظلم والاستبداد من طرف المستعمر .

4- **مالك حداد:**

شكلت اللغة الفرنسية سجنا بالنسبة لمالك حداد ، وقفت حاجزا بينه وبين بني جلدته ممن لا يتقنونها فقد قاس عمق الهوى بينه وبينهم بعمق وامتداد البحر الأبيض المتوسط واعتبرها منفاه واعتزلها غداة الاستقلال لبطلان الحاجة إليها.

لا تخلو رواياته من عبارات استعارها من لغة الشارع الجزائري مثل "اللي فات مات"،ولعل أهم مقولة تؤكد اعتزازه بقومية قوله :"نحن نكتب الفرنسي ولا نكتب بالفرنسية".[2]

كتابات مالك حداد الروائية أو الشعرية اتسمت بالصدق والإخلاص للوطن،كما شكل غبن الهوية وفيض الوطنية الثيمة الأقوى في مجمل أعماله،خاصة في رائعته " رواية سأهبك غزالة "،هذه الرواية العاشقة لروح الجزائر المفتونة بهويتها وعروبتها . " اللغة الفرنسية منفاي ولذا قررت أن أصمت " بهذه الجملة التاريخية الشهيرة التي صرح بها مالك حداد بعد الاستقلال ختم مسيرته الإبداعية، وأنزل الستار عن عالم الكتابة بكل ما يعنيه هذا القرار المر والقاتل لمبدع بموهبته وحجمه ..لا لشيء إلا لأنه لا يعرف الكتابة باللغة العربية .

[2] أم الخير جبور،الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ،ص76

5- كاتب ياسين:

يؤكد النقاد أن كاتب ياسين نجح من خلال الكتابة الروائية باللغة الفرنسية في اختراق العالم العربي الداخلي والتعبير عنه،فاللغة الفرنسية تبقى في رأيه أكثر اللغات امساكا وتعبيرا عن التناقضات بشكل واضح،فقد تمكن من التعبير عن ظواهر غربية عن الثقافة الفرنسية بلغة فرنسية،واستطاع أن يتسلل من خلال اللغة إلى عمق الاحتلال ويفجره من الداخل .[1] حتى أنه كان يعتبر الكتابة " ثورة عارية بل الثورة ذاتها دائمة الانفجار. " [2]

كاتب ياسين،مبدع أدمن النضال والتجديد،فلمع اسمه في سماء الأدب الجزائري،وألهم أجيالا من الكتاب. تمكن بفضل عبقريته الأدبية أن يثري الحقل الأدبي بأروع الأعمال الروائية والشعرية والمسرحية،عكست في مجملها رهافة وحسا جماليا مميزا برع في توظيف كتاباته لفضح كل أشكال البؤس والظلم المسلط على مجتمعه ،والتأسيس لمجتمع الحرية،فكان ضد كل أشكال القهر والطغيان والاستلاب وذلك بالكلمة الجريئة الصادقة .

6- آسيا جبار:

لجأت الكاتبة إلى اللغة الفرنسية عن قناعة واختيار،لتنقل أجمل الحكايات التي ميزت طفولتها والزاخرة بصنوف التراث القديم إلى اللغة الفرنسية ذات الثقافة الأوروبية ونذكر من رواياتها: (القنابر الساذجة)التي تحدثت فيها على لسان أحد الشخصيات متسائلة عن أهمية التحدث باللغة العربية لغة القرآن. [3]

[1] فاطمة الزهراء حبيب ، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية،ص53

[2] زهرة ديك ،من روائع الأدب الجزائري، ج3، ص 200

[3] فاطمة الزهراء حبيب ،ترجمة العناصر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية،ص54

آسيا جبار اختارت الكتابة باللغة الفرنسية للتعبير عن تجاربها الذاتية. تطرقت الكاتبة الى مواضيع مختلفة من خلال أعمالها الروائية،فمن رؤية الوطن من الداخل الى وضع واقع المرأة الجزائرية تحت المجهر ،كما عالجت مآسي وآلام النساء الجزائريات ودافعت عن حقوقهن .

وعليه إذا كان الغرب– الفرنسيين – نجحوا في إشاعة اللسان الفرنسي في أرض الجزائر ،فإنه مما يدل على عمق عروبة أبناء الجزائر ، أن اللسان العربي لم يمت فيهم أبدا وأن القومية العربية ظلت حية نابضة تدعوهم إلى مواصلة الكفاح إلى يوم النصر .[1]

مما سبق نستخلص أن اللغة التي استعملها الكتاب الجزائريون كانت لغة راقية ضاهت وارتقت في جمالها الفرنسية لغة بلزاك وفولبير فقد نسجوا خيوطها بحرفية عالية ولكنها في الوقت نفسه كانت لغة فرنسية استثنائية استطاعت أن تعبر عن خصوصيات الثقافة العربية والأمازيغية والإسلامية في إشارة إلى أثر الموروث الثقافي للكتاب الجزائريين.

[1] عبد الله الركيبي ،دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ،ص9

ج – الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وإشكالية الهوية

تعتبر إشكالية هوية وانتماء الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية من أكثر الإشكاليات تداولا من النقاد وطرحا من طرف الباحثين ،فيرى البعض أنها أدب فرنسي ،لأنها كتبت باللغة الفرنسية واتخذت من بنياتها التعبيرية والجمالية شكلا لها،ويرى البعض الآخر أنها أدب جزائري لأن روحها محلية وواقعها جزائري محض.

إن الكتابة بلغة المستعمر ليست بالأمر الجديد على الساحة الأدبية العالمية،فقد عرفت في بلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية،كما أنها ليست حكرا على الاستعمار الفرنسي وحده ،فقد وجدت آداب أخرى في المستعمرات الأوروبية،وقد كتبت بالإنجليزية والإسبانية والبرتغالية وحتى الهولندية،فإشكالية هوية الأدب والرواية بصفة خاصة،مطروحة أيضا بالنسبة للأدب الآسيوي والإفريقي واللاتيني المكتوب باللغات الأوروبية،وقد تختلف بعض البلدان الأخرى في طبيعة الاستعمار ومكانة اللغات المحلية في مواجهة اللغات الدخيلة ،فالجزائر مثلا اعتمدت لغة واحدة هي اللغة العربية في تعاملاتها وإدارة شؤونها قبل الاحتلال،ولكن بعد الاحتلال زاحمت اللغة الفرنسية التي فرضها المستعمر اللغة السائدة ،وحاول من خلالها خلق ازدواجية لغوية تنتصر فيها ال لغة الفرنسية،لأن اللغة العربية كانت محاربة بكل الطرق والوسائل،إستراتجية تضمن تفكيك الموروث التاريخي والثقافي للجزائر وينتج عنها مشاكل بين مجموع المتكلمين[1] ،أما في حالة البلدان التي تعددت لغاتها ولهجاتها قبل فترة الاحتلال مثل الهند ،فقد أسهمت لغة المستعمر في توحيد الجهود الفكرية ،وتبقى لغة واحدة تجمع أبناء البلد الواحد الذين يتكلمون لهجات مختلفة ،يضاف إلى ذلك طبيعة الاستعمار،فالاستعمار الاستيطاني في الجزائر عمل على هدم البني

[1] حبيب فاطمة الزهراء،ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية .رواية بما تحلم الذئاب لياسمينة خضرا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة،جامعة وهران 1،السنة الجامعية 2015م -2016م ،ص 45

اللغوية والثقافية بغية طمس معالم الهوية الأصلية واستبدالها بأخرى جديدة وغريبة، أما نظم الحماية والوصاية التي طبقت في بلدان أخرى فلم تجعل نصب أعينها تهديم البنى اللغوية المتأصلة في الشعوب المستعمرة.[1]

سنتطرق بادئ ذي بدء ،لآراء جملة من الدارسين الجزائريين كونهم أول من أثار قضية الانتماء الوطني للنص المكتوب باللغة الفرنسية.

نجد بعضهم من يعترف بج زائرية هذا الأدب وانتمائه الوطني الجزائري على الرغم مما يحمله من ثقافة غربية،ومن تدوين لغوي أجنبي ،وبعضهم من تبنى في تحديد هوية هذا الأدب،رأي الناقد الفرنسي كلود ماني [2] في كون هذا الأدب يعيش عصر القصة الأمريكية باعتبار أن الظروف التي أفرزت أدبا قوميا في أمريكا – الذي كان محل اعتراف – هي الظروف نفسها التي يمر بها أدب شمال إفريقيا – المكتوب باللغة الفرنسية –كما أنه يحمل الشخصية والروح الوطنيتين في دفاع هؤلاء الكتاب عن ماض و تقاليد جزائرية خاصة. ومما يزيد لهذا الرأي تأييدا ،التصريح القائل بوجوب "الإعتراف بشخصية المغرب العربي "،ولاشك أن الأدب الجديد في إفريقيا الشمالية يعطي سببا واضحا لهذا الاعتراف .[3]

عبد الله الركيبي يقف الموقف نفسه من هذا الأدب – المكتوب باللغة الفرنسية – مصرحا : "وجملة القول فإن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية،قد أوجد لظروف وأسباب في مرحلة معينة،وهو إن كتب بلغة أجنبية،فإنه عبر عن مضمون جزائري وواقع وطني الأمر الذي يجعل منه أدبا محليا وطنيا ".[4]

---

[1] حبيب فاطمة الزهراء،ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ص45

[2] أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ،الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984 م، ص102.

[3] ينظر عبد الله الركيبي ، القصة الجزائرية القصيرة، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،ط1.1983م، ص249

[4] المرجع نفسه ،ص 249

فإذا كان هذا القبول متأتيا من أحد الأدباء الجزائريين المدافعين بحماس عن عروبة الجزائر،وضرورة الأخذ بالاعتبار هذه النصوص المكتوبة باللغة الفرنسية فمن الغرابة بمكان أن يكون الرأي نقيضه صادرا عن دارس يحمل لواء العروبة نفسه مبررا موقفه بضرورة اعتماد هذه النصوص للحرف العربي، جاء في كتاب نهضة الأدب العربي المعاصر ل عبد المالك مرتاض : "إن هذا الأدب غريب في نفسه ،ومنفي عن موطنه الذي كتب فيه،و لم يستطع أن يلعب دورا كبيرا في نهضة الأدب المعاصر بالجزائر فضلا عن أن يلعب دورا خطيرا في إذكاء نار الثورة التي قيضت للشعب الجزائري أن يكسر قيود الاستعمار الثقيلة ". [1]

يتضح لنا من خلال هذا التصريح الأخير أن الباحث يعتمد على نتيجة،ودور الوظيفة الفنية والأدبية واللغوية وغيابها في تحريك الأدب الجزائري،وبالتالي ينفي إنتماءه إلى الهوية الجزائرية.

ومواكبة منا لما سبق نجد أن كثيرا من الدارسين،والباحثين قد جاروا في رأيهم بالانتساب الوطني لهذا الأدب –الباحث أبو القاسم سعد الله –في ضرورة التعامل مع هذه النصوص تعاملا موضوعيا .[2]

في ظل هذا الطرح المتباين،آثرنا الوقوف عند شخصية عربية أخرى رغبة منا في الاطلاع على ما خلفته هذه التجربة من مواقف إزاء الأدب المكتوب باللغة الأجنبية بعامة،والأدب الجزائري المكتوب بالحرف الأجنبي بخاصة هذا وبناء على تلميحاته الداعية إلى عدم إغفال الظاهرة اللغوية في تحقيق فعل الإنتماء القومي للأدب الجزائري – وضرورة أخذ الوسيلة اللّغوية بعين الاعتبار في تحديد هوية النص الوطنية. وتتمثل هذه الشخصية في الدكتور إبراهيم

[1] عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925م–1954 م) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،ط 2،ص6

[2] الأعرج واسيني ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص77

الكيلاني الذي يقول : "فهذا الأدب وإن كتب بلغة فرنسية فهو يعبر من وراء الحجاب اللغوي عن أعمق الأسس الروحية والاجتماعية التي يقوم عليها ماضي الشعب الجزائري وحاضره ".[1]

لعل ما يلاحظ على هذه الآراء. هو الاختلاف حول ظاهرة الإنتماء،أو بالأحرى التباين في التحديد النظري للمقياس الموضوعي،الذي نستطيع على أساسه كسر الحواجز بين الدارس والمبدع،وبالتالي إيجاد منهج ما يسمى بالمقاربة[2]، وإسقاطه على الموضوع لإزاحة هذه الضبابية التي تشوب الإشكالية الأخيرة،وبالتالي فك العزلة عن النص المكتوب باللغة الفرنسية،ويومها يتسنى لنا الإجابة عن السؤال الأبدي ،هل تكمن هوية النص المكتوب باللغة الأجنبية الفرنسية فيما يوحي به مضمونه دون شكله ؟أم فيما يوحي به شكله دون مضمونه ؟أم فيما يوحي به كلاهما؟

توضيحا ودعما لما سلف الباحثون باللغة العربية الذين تعرضوا لمناقشة هذا الموضوع انقسموا إلى اتجاهين رئيسين :اتجاه ينكر الهوية العربية لهذا الأدب ،بحكم اللغة التي كتب بها ،ويرى أنه ليس ممكنا اعتبار رواياتهم – أي الكتاب –باللغة الفرنسية جزء من التراث الثقافي العربي ، ومن هؤلاء من وضع –وضع الكتاب الجزائريين في صف واحد مع الكتاب الفرنسيين الذين ولدوا هم أيضا على أرض الجزائر وعاشوا فيها.يستند أصحابه في ذلك إلى وجهة نظر مدرسة الأدب المقارن الفرنسية التي تلحق الأدب – مهما كانت جنسية كاتبه –بالأمة التي تتكلم اللغة التي كتب بها ذلك الأدب وتعده من أدبها القومي .[3] وهناك اتجاه آخر يذهب إلى العكس من هذا تماما ويمثله أساسا الدارسون والمترجمون العرب الذين درسوا هذا الأدب أو نقلوا بعض النصوص منه إلى اللغة العربية ،فهم يرون أن هذا

[1] أحمد منور،الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي،ص179

[2] عبد الله المسدي ، الأسلوب والأسلوبية ، الدار العربية للكتاب، بيروت،ط2 ،1982 م، ص187

[3] نفس المرجع السابق،ص 177

الأدب المغربي ليس من الأدب الفرنسي في شيء، وإنما هو أدب جزائري بكل معنى الكلمة ،وأدب وطني ملتزم،وقطعة من التراث المعرفي العربي ، وحينما ينقل إلى العربية إنما يعاد بذلك إلى اللغة الأم .[1]

كلا الاتجاهين يبالغ في إنكار أو إثبات الهوية العربية لهذا الأدب،إما بدافع الحماس للعروبة،أو بدافع التعاطف مع القضية الجزائرية . ففي الوقت الذي يختزل فيه أصحاب الاتجاه الأول المشكلة كلها في عامل اللغة،و يعدونها العامل الأساسي والحاسم في انتسابه إلى الأدب الفرنسي،يتجاهل أصحاب الاتجاه الثاني هذا العامل ويسقطونه من حسابهم ، ليجعلوا منه أدبا عربيا خالصا .

من خلال ما سبق سنحاول طرح الإشكالية الخاصة بالانتماء الوطني للنصوص المكتوبة باللغة الفرنسية في ضوء الرأي الأجنبي،لمجموعة من الباحثين والدارسين بدء **ب : ريموند كانو ، ومرورا ب شارل بون،وجون ديجو،وجاكلين أرنود على التوالي** .

أما "ريموند كانو ." فيمكن الإطلاع على رأيه وبالتالي التماسه من خلال مصنفه (Histoire des literatures) في الجزء الثالث وهو جزء يحتوي على الأدب الفرنسي أو ما يعرف ب Les belles) letters) والأدب الملحق (Littérature connexe) والأدب الهامشي.marginales (Littératures) ... " لاحظنا أن الباحث قد صنف أدب شمال إفريقيا – المكتوب باللغة الفرنسية – بما فيه الأدب الجزائري ضمن الأدب الملحق إلى جانب الأدب الهامشي،ويتكون الجزء الخاص بالأدب الملحق من 300 صفحة مع العلم أن المؤلف يحتوي على 2055 صفحة تقريبا فإذا كان أدب شمال إفريقيا – المكتوب بالفرنسية ينتسب إلى الأدب الفرنسي كما زعم

[1] أحمد منور ، الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي ،ص 177

المؤلف فلماذا صنفت هذه النصوص ضمن الأدب الملحق،والأدب المشكوك في أدبيته كأدب الأطفال،و الرواية البوليسية في آخر المؤلف ؟ولماذا لم يصنفها إلى جانب الأدب الفرنسي الخاص ب "Les belles lettres" ؟ [1]

هذا في حين نجد أن " شارل بون" الذي عمل على تصنيف هذا الأدب المكتوب باللغة الفرنسية – على أنه مزدوج الهوية لكونه يحمل في جوفه الهوية الأوربية،في الوقت ذاته الذي يحمل فيه الهوية العربية و لكونه قد تغذى من الثقافتين،الغربية والعربية في آن معا ،ولا نستطيع تحديد الأولى إلا بالثانية غير أن الحضور الأيديولوجي هو الذي يحتم عليه تحديد قوميته أو هويته العربية الجزائرية دون الإشارة إلى اللغة،و هذا التحديد لا يمكن أن يكون له أي معنى إلا في حضور العنصر الأجنبي المتمثل في اللغة و الثقافة العربية . [2]

أما جان ديجو فيخالف الرأي السابق ،في كون أن الأدب المغربي – ذا اللسان الأجنبي –لا يخرج عن دائرة الكتاب المغاربة ،على الرغم من تشبعه بالثقافة الغربية ،و مما يزيد رأيه ثبوتا تصريحه ب :"سيظل الكاتب المغربي باللغة الفرنسية يمثل مغرب اليوم في ثقافته و تحولاته ،وتساؤلاته على الرغم من كونه يحمل البصمة الأجنبية في كتاباته ." [3]

هكذا يدرج جان ديجو الأدب الجزائري وفق الأدب المغاربي معترفا بهويته المغاربية،المعبرة عن مضامينه الحاملة للروح العربية المغاربية،والتي لا يجب إغفالها في إثبات هويته.

[1] مجلة انسانيات ، مجلة جزائرية في الانتربولوجيا والعلوم الاجتماعية ،العدد9 – 1999 م، ص 10 ، تاريخ الزيارة السبت 03فيفري 2018 م الساعة 20:00 (الرابط : journal.openedition.org)

[2] المرجع نفسه، ص 11

[3] المرجع نفسه، ص 11

فشارل بون و جان ديجو اعتبروا هذا الأدب جزائريا مع حرصهم على تمييزه دائما بعبارة " المكتوب بالفرنسية " أو " ذو التعبير الفرنسي " ، ووصفهم لهذا الأدب ب " الجزائري " تأكيدا منهم بطريقة ضمنية على عدم اعتباره " أدبا فرنسيا " . [1]

أما الدارسة أرنود فتقف في الصف ذاته مع شارل بون في نظرتها إلى هذا الأدب،في اعتبارها أن الأدباء المغاربة – ذوي اللسان الأجنبي – بما أنهم يشتغلون في الحقل نفسه،فهم أقرب منا إلى الكتاب العرب المعاصرين أمثال طه حسين،وتوفيق الحكيم و الطيب صالح . [2]

يتضح لنا من خلال هذا التلميح أن الباحثة أرنود قد عملت على إدماج الأدب الجزائري ذي اللسان الأجنبي ضمن الأدب العربي المعاصر،وهذا لكون أن هؤلاء الأدباء – الجزائريين – يشبهون إلى حد كبير الأدباء العرب،يجمعهم في ذلك الطابع العربي بما في ذلك التقاليد الفنية العربية،و التي لا نلقى لها صدى عند الكتاب الأجانب،وبالتالي يظل عنصر اللغة وغيره من العناصر التاريخية غير كافية لإلحاق هذا الأدب بالأدب الأجنبي وتغريبه عن موطنه وأصالته.

إذا كانت آراء بعض الدارسين السابقين اتسمت بالتوفيقية إلى حد غير بعيد،فإن بعضهم يكاد يميل إلى آراء بعض الدارسين العرب في نظرتهم إلى هذه الروايات الجزائرية في قولهم إنها روايات عربية مترجمة إلى الفرنسية لأنها كانت تحمل بصدق آلام هذا الشعب فمن العيب ضرب هذه الإنجازات الأدبية التي أوصلت قضية الجزائر خارج حدود المحلية،والمتتبع لآراء النقاد الغربيين يتبين له أنهم يستندون في مجمل آرائهم على ثنائية الإنتماء الوطني لهذه النصوص مؤسسين رؤيتهم حول قضية الإنتماء الأوروبي والعربي للنص المكتوب باللغة الأجنبية،ويرتد ذلك إلى عدة عوامل من بينها عامل الثقافة الغربية،والعربية المعتمدة من قبل الكتاب.

[1] أحمد منور،الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي،ص175

[2] مجلة إنسانيات ، مجلة جزائرية في الأنتربولوجيا والعلوم الاجتماعية، ص11

أما بالنسبة لرأيي أنا كطالب ، أنا مع التيار الوسطي الذي يتحدث عما يسميه " الروح الجزائرية " أو العربية التي كتب بها ، والذي يلخصه قول إبراهيم الكيلاني بمعنى أو بآخر هذا الأدب حتى وإن كتب بلغة أجنبية فهو يعبر عن مضمون جزائري ، عن ماضي الشعب الجزائري وحاضره .

تعددت المواقف بين مؤيد ومعارض،بين مشكك —في هوية أدب كتب باللغة الفرنسية من طرف أدباء جزائريين ومثبت،بين أديب وناقد وإن أخذت هذه الإشكالية أبعادا أعمق من مرحلة الحرمان والاضطهاد من تعلم اللغة العربية إلى مرحلة التغريب والتعليم والتشبع بمبادئها وآدابها. وما يمكن قوله أنه على الرغم من كل ما يقال حول هذا الأدب إلا أنه لا أحد – ولو في قرارات نفسه ينكر عليه جزائريته أو جزائرية أصحابه ذلك أن هذا الأدب كتب الشطر الأول منه في فترة تعذر استخدام غير الفرنسية لغة للإبداع والتعبير تنبع منه الروح الجزائرية بآلام وآمال الشعب عاش أصحابه مأساة التمزق بين ثقافتين وحضارتين،و إن لم تطف هذه الأزمة على السطح،إلا بعد الاستقلال واتضاح المعالم الكبرى التي تسير وفقا لهذا البلد.

فهذا الأدب جزائري لأن أصحابه جزائريين ماداموا مقرين بانتمائهم،معبرين عن القومية الجزائرية والانتماء الجغرافي والتاريخي والحضاري لهذا البلد،بحمل هموم الشعب،فهل يمكن أن نقصي الخطيب الجزائري من هويته القومية،إن استعمل الفرنسية لغة لخطاباته لأغراض معينة،والكل يعلم مدى اتساع النخبة الجزائرية التي تعتمد تلك اللغة في الخطب والحوارات العامة.

الفصل الثاني

صورة المرأة في الرواية الجزائرية

المبحث الأول:المرأة الأسطورية

المبحث الثاني: المرأة التاريخية

المبحث الثالث: المرأة الثورية

2 –صورة المرأة في الرواية الجزائرية :

تشارك المرأة الرجل في الحياة وتنافسه في مختلف الأعمال وذلك لتثبت للمجتمع مدى أهميتها ،فهي تشترك معه في السرد القصصي ، وتعتبر عنصر قوي وضروري لتكوين الحبكة السردية ،فقد احتلت مكانة ونصيبا أوفر في الرواية حيث تناولتها في صور وأشكال متعددة ومن جوانب مختلفة،وفيما يلي نحاول أن نقف على أهم الصور التي رسمتها الرواية للمرأة،لكن قبل هذا لابد أن نشير إلى أهمية موضوع المرأة .

أهمية موضوع المرأة :

الكاتب ابن بيئته ومجتمعه،يتفاعل مع كل ما يحدث فيه ويحدث له،والمرأة إحدى مكونات هذا المجتمع،وهذه البيئة ومن الطبيعي أن تحتل هذه المرأة أهمية ومساحة كبيرة في أعماله الروائية.

من هنا كان موضوع المرأة في ميدان الأدب من أهم المواضيع المطروحة ،فهو قضية جدية شغلت بال جميع المجتمعات كغيرها من المشاكل الاجتماعية كالتخلف،والظلم،فقضية المرأة تضاربت فيها الآراء،فهناك من انتصر للمرأة وجعلها شريكة للرجل،ومشاركة له في الحياة من باب المساواة،وهناك من رفض هذا الطرح وقصر مهامها في الإنجاب والالتزام في البيت، فقد تقلدت المرأة أدوارا متعددة منها البطلة المحبوبة والمهمشة والخاضعة لتقاليد المجتمع في الروايات وذلك تبعا لخلفيات الكاتب ،في حين حملت هي شعار التحرر من جميع القيود ،ومواجهة السلطة الذكورية في إبداع المرأة الكاتبة التي خاضت غمار التجربة بالرغم من كل الانتقادات التي وجهت إليها بغية كشف القضايا المحرمة في مجتمع يخشى مناقشتها بحجة أنها مواضيع لا يجوز الحديث فيها،ومن هنا تصدى الأدباء لهذا الطرح،وراحوا يعالجونه في كتاباتهم الأدبية الإبداعية وهذا ما أكد عليه الدكتور صالح مفقودة:"أما وجود المرأة في ميدان الأدب فيحتل مساحة كبيرة فقصائد الشعر العربي تنوء بوصف النساء

ولوحات الرسامين،تعتمد على هذا الموضوع وكذلك الإشهار والأفلام ... والمرأة في الرواية تحتل نصيبا أوفر وكذلك الشأن في الدراسات الأدبية والاجتماعية. [1]

وما نستنتج من هذا القول هو أن المرأة عنصر بارز في جميع ميادين الحياة سواء كان شعرا أو نثرا أم إشهارا أم رسما، فهي عنصر أساس ملفت للانتباه فقد تباين حضورها في الرواية العربية المعاصرة وأصبحت تحتل نصيبا منها،فمن الضروري أن لا تخلو أي رواية من هذا العنصر.

أ-المرأة الأسطورية:

لقد استعان الكثير من الأدباء بتوظيف الأسطورة في إبداعاتهم، حيث عمدوا إلى توظيف رؤاهم الإبداعية والفكرية وألبسوا بذلك التراث ثوبا جديدا محملا بقدرات دائمة من العطاء المتجدد، ومحافظين على أصالة الأسطورة وعراقتها.

الأسطورة لغة :جاء في معجم لسان العرب،السطر والسطر: الصف من الكتاب والشجر والنخل ونحوها، ويقال بنى سطرا وغرس سطرا،والسطر الخط اللحياني والجمع من كل ذلك أسطر وأسطار وأساطير وسطور . [2]

الأسطورة بالأصل هي الجزء الناطق في الشعائر والطقوس البدائية وهي بمعناها الأعم حكاية خرافية تعتمد على الخيال والحوار ومؤلفها مجهول تتحدث عن الأصل والعلة والقدر ويفسر بها المجتمع ظواهر الكون تفسير فيه نزعة تعليمية تربوية[3] .والحديث عن الأسطورة يقودنا إلى الحديث عن موضوعين هما :

الموضوع الديني كونها تؤرخ لأعمال الآلهة والأبطال،والموضوع الأدبي ذلك أن هناك ارتباط كبير بين الدين والأدب فالأدباء خلدو ا الأساطير وكانت المعابد هي مهد الأعمال الأدبية،وقد تأثر الأدب المعاصر بالأدب

[1] صالح مفقودة ،المرأة في الرواية الجزائرية،دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع،بسكرة،الجزائر،ط2،2009م،ص 10.

[2] جمال الدين بن منظور ،لسان العرب،دار صادر ،بيروت، ج6 ، ص182

[3] المرجع السابق، ص 324

الغربي في استخدام الأسطورة ليس في مجال الشعر فحسب بل وفي المجال النثري أيضا ، ومع أن استخدام الروائيين الجزائريين للأسطورة محدود فإننا سنقف على استخدام المرأة الأسطورية في أعمالهم.

الأسطورة اليونانية : من صور المرأة في الأسطورة اليونانية نجد

1 – أ سطورة بيشي PSYCHE:وهي أسطورة يونانية تتعلق برمز الجمال الفتان الذي منحه ايكو EKOS لهذه الفتاة حيث أورد ابن هدوقة هذه الأسطورة باستخدام لوحة تمثل صورة بيشي وهي تتلقى قبلة الحب لأول مرة واللوحة للرسام فرانسوا بايرون جرار. [1]

وقد اتخذ الكاتب هذه الصورة المنقولة عن صورة أصلية مستمدة أساسا من أسطورة يونانية ،ليجعل تلك اللوحة من القطع التراثية التي تزدان بها جدران بيوت طبقة من المجتمع ، و لها اتصال وثيق بالغرب وبرفاهية الحضارة،حيث وظف الكاتب هذه الصورة ليزين بها ديكور البيت وليعطي صورة واضحة عن طبيعة وميول هذه الشخصية في روايته . [2]

كما أورد الأعرج واسيني قصة امرأة أسطورية تدعى لآلة حموشة في روايته (ماتبقى من سيرة لخضر حمروش)، فحكاية هذه المرأة تقول :" أنها امرأة زاهدة أخذتها الملائكة بعيدا وراء جبال الواق واق ، وهي هناك تعيش مع كل الناس الخيرين ".

وهناك رأي آخر :" أنها كانت ترقص رقصة الحضرة فصعدت روحها ولما بحثوا عنها رأوها تذوب بين أيديهم كقطعة ثلج ، وتتصاعد فتشكل خيوط حلزونية ." [3]

وتعبر رواية (رمل الماية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف) لواسيني الأعرج عن تجليات التوظيف الأسطوري،حيث يشغل الجو الأسطوري حيزا هاما،وقد جعلها واسيني الأعرج حكاية تتقاطع مع البنية الحكائية

[1] صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 202

[2] المرجع نفسه،ص 206

[3] الأعرج واسيني ، ما تبقي من سيرة لخضر حمروش ،دار الجرمق، دون طبعة ، ص 157

لكتاب ألف ليلة وليلة،الذي يعد مصدرا مليئا بالأساطير والحكايات الأسطورية والخرافية الخارقة المتسمة بصبغة أدبية فذة،تواجه فيها شهرزاد القمع والاستبداد المتجسد في شهريار بعباراته البسيطة،لكن ذلك الترتيب البسيط هو الذي جعلها تتصف بميزة القدرة على احتواء حكايات كثيرة فيها. [1]

2- أسطورة أساف ونائلة: أساف ونائلة من الأساطير العربية وهما (رجل من درهم يقال له أساف بن يعلى،ونائلة بنت زيد من جرهم)كان يعشقها في أرض اليمن فأقبلا حاجين فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت ففجرا بها، فمسخوا فاصبحو فوجدوهما مسخين،فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزامة وقريش،ومن حج البيت بعد ذلك من العرب . [2] وقد أورد ابن هدوقة إشارة سريعة إلى هذه الأسطورة في روايته(الجازية والدراويش) يقول الكاتب : " ابحث في ذكرياتي عن الماضي البعيد،تختلط الصور أرى زردة ضخمة حول زمزم دراويشها يهتفون بنائلة و أساف العاشقين اللذين كتب عليهما المسخ ثم القداسة وتبدوا لي نائلة في صورة الجازية وأساف في صورة الأحمر." [3]

إن توظيف الأسطورة في الأدب الجزائري يكاد يكون منعدما فالروايات ذات الطابع الأسطوري قليلة وتعود الأسباب في ذلك إلى سيطرة وغلبة الاتجاه الواقعي على الرواية الجزائرية .

يقول الدكتور صالح مفقودة :" وتعود الأسباب في اعتقادي إلى سيطرة وغلبة الاتجاه الواقعي على الرواية خاصة وأن هناك من يضع الأسطورة القطب المعاكس لكلمة الواقع أو الحقيقة،هذا سبب وسبب آخر هو أن الروائيين الجزائريين قليلو التأثر بالأدب الغربي عامة وبالأدب اليوناني خاصة ولذلك فإن معظم الإشارات الأسطورية في أعمالهم كانت مستمدة من الأدب الغربي . [4]

[1] عبد الله إبراهيم ،السردية العربية، المركز الثقافي الغربي ، بيروت ، ط1، 1962م،ص97.
[2] هشام أبو المنذر ،كتاب الأصنام،دار الكتب المصرية ،ط3، 1995 م،ص 9
[3] ابن هدوقة ، الجازية والدراويش، المؤسسة الوطنية ،الجزائر ، 1983 م ، ص221.
[4] صالح مفقودة ،صورة المرأة في الرواية الجزائرية ،ص 105.

ب- المرأة التاريخية :

المرأة التاريخية هي التي صارت رمزا من رموز الحضارة العربية والفكرية يقول الدكتور صالح مفقودة : " المقصود بالمرأة التاريخية استلهام التاريخ واستمداد بعض صور النساء أو بعض الشخصيات النسوية التاريخية التي صارت تمثل رمزا في المسيرة الفكرية والحضارية لأمتنا ، ولا نعني بذلك تناول الروائيين روايات تاريخية تهدف لتعليم التاريخ أو تسلية القارئ كما هو الحال في الراويات التاريخية عند جورجي زيدان " .[1]

والمرأة التاريخية وظفها الروائيون في رواياتهم ، وسنستعرض بعض الأعمال الروائية التي تناولت المرأة التاريخية.

1- الجازية الهلالية :

"وهي امرأة فائقة الجمال اشتهرت في قبيلة بني هلال وقد وصفت بالحيلة وكانت تتزعم النساء في الاستنفار إلى القتال،والجازية نموذج المرأة العربية الجميلة المنظر القوية الحضور والفصيحة في القول وكانت من الفتيات اللواتي يخترن لتشجيع الجند أثناء القتال حيث يتبين من خلال تغريبة بني هلال أنهم رحلو ا من نجد إلى المغرب ،وكانوا على قدر كبير من الإيمان والشجاعة والتقوى ." [2]

وقد ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته حيث يقول : " أنهم كانوا في مصر ووصلوا إلى إفريقيا سنة 43 هجرية وعن سبب انتقالهم توجد روايات مختلفة فهناك من قال أن ذلك كان بسبب القحط ،إلى رأي يرد السبب إلى خلاف وقع بينهم وبين زوج الجازية وهو الشريف بن هاشم إثر ذلك الخلاف الذي وقع بينه وبين قومها رحلوا بها وزوجها وموهوا عليه بأنهم يبكرون به للصيد لكنهم تركوه وذهبوا فرجع إلى مكة،وقد كان به كلف عظيم وكانت تبادله نفس المودة ." [3]

---

[1] صالح مفقودة ،المرأة في الرواية الجزائرية ،ص 123.

[2] المرجع نفسه، ص124

[3] عبد الرحمن ابن خلدون ،كتاب العبر، دار الكتب العلمية بيروت ، مج 6 ،2009 م، ،ص 39

وهناك أخبار تقول أن الجازية لما وصلت إلى إفريقيا وفارقت الشريف تزوجت برجل آخر هو ماضي بن معرب من رجالات دريد .[1]

ويتناول الأعرج واسيني الجازية في روايته عندما يتحدث عن صالح بن عمر الزوفري حيث تخرج له من شقوق الحائط أو من سقف البيت الهرم المتآكل بثيابها الفضفاضة وسيفها العربي،فالجازية تتراءى له بين الحين والآخر،حيث يصف الكاتب هذا المجيء السريع مثل الومض وأنها تشترك مع صالح في صفتي الحزن والطيبة،فكلاهما طيب ووحيد فقد ماتت زوجة صالح في مستشفى الغزوات نتيجة إهمال القابلات ويبقى هو وحيد، أما الجازية فقد غاب عنها زوجها أو مات فعاشت وحيدة .[2]

2-الكاهنة :

"هي امرأة بربرية تسمى دهيا بنت ماتيا بن تيفان ملكة جبال الأوراس وقومها من جراوة ملوك البتر وقد واجهت هذه المرأة الفتح الإسلامي بضراوة لكنها انهزمت وتم قتلها في مكان البئر المعروف باسمها (بئر الكاهنة في جبال الأوراس) .[3]

وكان لأبنائها شأن عظيم فيما بعد ،وقد قيل أنها قتلت وأرسل رأسها إلى المشرق وتعد الكاهنة من النساء الثوريات في تاريخ الجزائر .

يشير الطاهر وطار للكاهنة عندما يتحدث عن الصراع بين الطلبة المتطوعين الذين انقسموا إلى صفين صف مع الثورة الزراعية وصف ضد الثورة الزراعية ويمثل مصطفى الصف المضاد للثورة الزراعية حيث يحضر نفسه لصب الأسيد على وجه جميلة التي يرى أنها رمز الفكر الأصولي والمد الإسلامي فهو يقارنها مع الكاهنة فيقول :" الكاهنة كانت على ديانة اليهود بل كانت مسيحية عميلة للرومان كانت ساحرة يسكن روحها الشيطان جندت

[1] صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، ص124
[2] رجعا لم نفسه ص 126
[3] المرجع نفسه ،ص 123

الوثنيين وسحرتهم،واجهت جيش الله قتلت منهم وقُتلت لولاها لما ظهر كسيلي (هكذا) قال الإمام عقبة بن نافع سأقطع دابرها .[1]

فالكاهنة هي امتداد لبطلات الجزائر كجميلة وتينهنيان يقول الكاتب وطار : " في أقصى الجنوب على بعد ألفين وخمسمائة كيلومتر ترقد القائدة الكاهنة وفي الوسط تنام البطلة لآلة خديجة وفي الغرب ترقد لآلة فاطمة بن يوسف وفي كل شبر تنام وتستيقظ جميلة ."[2]

لقد جعل الطاهر وطار من المرأة التاريخية الكاهنة تلك المرأة النموذجية التي ينبغي أن تكون عليها المرأة المناضلة فقد استلهم الكاتب بعض ملامح بطلته في القصة من التاريخ الثوري البربري في الجزائر،كما أنه يشير إلى أسماء نساء بطلات أخريات من كل ربوع الجزائر في الشرق وفي الغرب وفي الوسط .

وخلاصة القول أن المرأة التاريخية أخذت حيزا كبيرا من اهتمام الروائيين حيث كان لها دورا كبيرا في التاريخ العربي والجزائري على الخصوص ،فقد برزت مكانتها خلال الفترة الاستعمارية فهي صفحة مشرفة في سلسلة الكفاح الجزائري ومثال للمرأة العربية الأصيلة صانعة التاريخ بفضل مثابرتها ووقوفها إلى جانب الرجل في جميع المجالات وشجاعتها التي قهرت الأعداء ،وقد صورها الروائيون الجزائريون في رواياتهم لتبقى خالدة عبر العصور فهي تستحق مكانة جديرة بهده النضالات والتضحيات ،فكانت المرأة التاريخية في الرواية رمزا للوفاء للوطن .

ج- المرأة الثورية:

شكلت الثورة الجزائرية موضوعا مهما في كثير من الإبداعات الغربية والعالمية وكانت استجابة الأدب العربي استجابة وجدانية ، لأنه كان طافحا بالإحباط وخيبة الأمل فوجد في موضوع الثورة وأبعادها التاريخية والسياسية مرتكزا على التغني بما يعيد له اليقظة في النفس،وكثيرة هي الروايات التي اتخذت من الجزائر ومن الثورة

[1] صالح مفقودة ،المرأة في الرواية الجزائرية ،ص 123

[2] الطاهر وطار،العشق والموت في الزمن الحراشي،اللاز الثانية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،ط2 ،1982 م ،ص 79

الجزائرية موضوعا لها ،فالأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية أو باللغة الفرنسية حافل بعطاءات جمة ومتميزة تعرض بصورة أو بأخرى وقائع الاستعمار والكفاح.

وإذا كان الرجل هو الذي يقوم بالدور الرئيسي في قيادة معارك الثورة منذ انطلاقها ،ويتحمل مشاق الجبال وعناء التنقل والترحال بينها فإن مهام أخرى كانت بحاجة إلى أن تقوم بها المرأة ،وقد لا تقوم بها غير المرأة ،وبدون ثنائية هذا التعاون لم تكن الثورة لتستطيع تحقيق أهدافها في المدى الذي رسمته لنفسها .[1]

والمرأة الثورية ليست وقفا على الثورة التحريرية الكبرى فحسب ،فهناك المرأة الثورية قبل الثورة – لآلة فاطمة نسومر،لآلة خديجة،الكاهنة،ينهنان...الخ وبعد الثورة استمر نضال المرأة،ولكن الثورة التحريرية بالذات هي الفترة المشرفة في تاريخ المرأة .

وثورية المرأة لم تكن وليدة الثورة فحسب بل كانت سابقة عنها حيث أن التاريخ الجزائري سجل أسماء عظيمة مرغ القدم ولكن الثورة التحريرية الكبرى هي الحدث الأبرز الذي سمح للمرأة بالتحرر و إثبات وجودها ،والمرأة الثورية هي المرأة الواعية التي انخرطت في صفوف الثورة لتعمل وتحارب مع المجاهدين ، ولقد استثمرت الرواية الجزائرية في الثورة لتقدم صورة عن مساهمة المرأة في الكفاح ضد المستعمر و ذلك من خلال تقديم نماذج عن المرأة الثورية ومن الأسماء التي أشارت إليها الروايات نجد مثلا :

الطاهر وطار يشير في روايته (العشق والموت في الزمن الحراشي) إلى جميلة بوحيرد وهي بطلة كبيرة ورمز من رموز الكفاح المسلح حيث ألقي عليها القبض عام 1957 م في الوقت الذي عثروا فيه على فرنسي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة وكان مقيدا بشجرة وأفاد بأن أفراد عائلته قد قتلوا بأيدي الثوار،حيث تم اقتياد جميلة للتحقيق وكانت تحمل وثائق ورسائل ومبالغ مالية وثبت بعد التحقيق بأنها سكرتيرة قائد فدائيي الجزائر يوسف سعدي كما نسبت إلى

[1] محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر ، دار الجيل ،ط1،2005،ص175

جميلة بوحيرد تهمة تفجير القنبلة الموقوتة يوم 16ا ن في ج1957م بأحد الملاهي حيث أصيب مايزيد عن عشرين أوروبيا هلك أغلبهم. [1]

حيث نجد أن الكاتب وطار يشير إلى جميلة بوحيرد من خلال الطالبة جميلة التي تتكلم عنها بقولها : "ما كل جميلات الخمسينات لسن سوى نساء بسيطات في مجتمع بسيط حملت مهام فقمن بها حسب إمكانياتهم البسيطة ،حمل قنبلة يدوية في الحقيبة غير حمل عقائد دينية راسخة ." [2]

الكاتب ينظر إلى البطلة نظرة واقعية إنسانية فلم يجعل منها بطلة أسطورية ولم يجردها من أنوثتها.كما تشير زهور ونيسي إلى حياة مدرسة في رواية (من يوميات مدرسة حرة) حيث تصور هذه الرواية معلمة تعمل في حي صلامي وكانت منخرطة في العمل الثوري وتلتقي بالمجاهدين وهذه الرواية أقرب إلى السيرة الذاتية .[3]

ويصور لنا رشيد بوجدرة في رواية الحريق نضال المرأة الجزائرية في صورة البطلة زهور التي حاولت بكل الوسائل أن تأخذ دورها في الحركة المسلحة بين الرجال وأبت رغم تشتت علاوة واقتناعه بأن طبيعة المرأة تخالف طبيعة الرجال ،إلى أن تثبت إن المرأة تمتلك القدرة إذا ماشاءت بأن تقدم الدعم والقوة للرجل وشد أزره،ليس فقط في صنع الحياة في القربة والحفاظ على الأسرة وتوزيع المناشير في المدينة،ولكن في كل مجالات العمل الثوري. [4]

نذكر كذلك من الأعمال التي صورت ثورية المرأة :

-المرأة الثورية والعجوز " خالتي البهجة " في رواية(لونجة والغول) لزهور ونيسي. [5]

-رحمة بنت الفحام في رواية (الانفجار) لمحمد مفلاح.

- الطالبة الثورية في رواية مرزاق بقطاش .

---

[1] بسام العسلي،المجاهدة الجزائرية والإرهاب الاستعماري،دار النفاس،بيروت، 1989م، ص 137-138

[2] صالح مفقودة ،المرأة في الرواية الجزائرية ،ص123

[3] زهور ونيسي، من يوميات مدرسة حرة،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1979 م،ص28.

[4] محمد صالح الجابري ،الأدب الجزائري المعاصر ،ص184

[5] زهور ونيسي، لونجة والغول، مطبعة دحلب ،حسين داي،الجزائر ، 1983 م ، ص 78

نموذج عن المرأة الثورية :

صورة المرأة الثورية في رواية لونجة والغول : تتمثل في تلك المرأة التي تأتي إلى مليكة ملتحفة بحايك أبيض تلبس حذاء أسود دون كعب تقول الكاتبة: (وسرعان مانزعت الخمار عن وجه جميل وشعر مقوض أسود وفم مبتسم مجاملة) .هذه المرأة أخبرت مليكة بأنها (المرأة الثورية) أرملة شهيد نفد فيه حكم الإعدام بالمقصلة،غير أن التحاقها بصفوف الثوار ليس أخذا بثأر زوجها فحسب بل هو ث أر عام،فقد استشهد أبوها وعمها في أحداث 1945م بخراطة،واستشهد جدها لأمها بثورة الزعاطشة بالجنوب ومن ثم فإن عملها هو كفاح من أجل الحق .[1]

إن هذه المجاهدة تتضمن المواصفات الآتية :

– تبدو خفيفة ونشيطة ذات شعر مفصوص وحذاء بلا كعب له وهذا أخف وأسرع وتبدوا في زي نسوي حتى لا تعرف كما أنها تحرص على عدم ذكر اسمها .

– إن هذه المجاهدة لا تعتبر ما تقوم به أمرا خارقا للعادة بل تعده أمرا طبيعيا،تخبر المجاهدة مليكة بأن الثورة عامة والثوار كثر لا يعرف بعضهم بعضا،خلافا لما تعتقده مليكه بأن في الجبل مجاهدات كثيرات .

–هذه المرأة واعية شاعرة بالتاريخ الثوري لأسرتها خاصة وللشعب الجزائري عامة فهدفها من الكفاح الوطني لا يعود لأسباب شخصية.

– إن هذه الفدائية شاركت في إحدى العمليات قبل التحافها بالجبل وهذا الشرط كان لازما لمن يلتحق بالثورة [2].

وخلاصة القول إن الثورة الجزائرية كانت حدثا عظيما في تاريخ الجزائر،فقد استثمرت الرواية هذا الحدث التاريخي وحرص الروائيون على تثبيت المرأة في أعمالهم فكثيرة هي الروايات التي اتحدت من المرأة الثورية موضوعا لها وبطلة تدور حولها أحداث الرواية ،فجاءت حافلة بعطاءات جمة ومتميزة ،تعرض بصورة أو بأخرى وقائع الاستعمار

[1] زهور ونيسي ،لونجة والغول،ص 121

[2] صالح مفقودة ،المرأة في الرواية الجزائرية ،ص 5

وكفاح المرأة ضد المستعمر جنبا إلى جنب مع الرجل،فالمرأة الثورية تتمتع بثقافة ممتازة ما يفرض عليها أن تلتحق بالثورة عن وعي ودون أن تخشى عائلتها وزوجها ،فقد خالفت العادة بالنسبة لبيئة قروية محافظة التي تعتبر المرأة غير قادرة على حمل السلاح ومجابهة الأخطار،فقد أثبتت جدارتها وقوتها في أحضان جيش التحرير في حمل السلاح تارة وأخرى تلاطف الجرحى وتضمد جراحهم ، وتهيئ لهم وسائل الراحة وتطهي لهم الطعام ،فلم تتدمر ولم تتكاسل بل كانت مخلصة في مهنتها متفانية في انجازها .

الفصل الثالث

صورة المرأة في رواية الحريق

المبحث الأول: التعريف بمحمد ديب

المبحث الثاني: ملخص الرواية

المبحث الثالث: صورة المرأة في رواية الحريق

3-صورة المرأة في رواية الحريق:

أ -التعريف بالأديب محمد ديب

1-مولده ونسبه :

ولد الأديب محمد ديب يوم 21 جويلية 1920م بمدينة تلمسان العريقة،ينحدر من أسرة أمازيغية الأصل وذات مستوى اجتماعي متوسط،وقد توفي والده،وعمره لا يتجاوز الحادية عشر،وقد عرف الحرمان مثل أغلب الجزائريين،وكان يتحسس آلام مواطنيه ومأساتهم الاجتماعية،وقد ترك ذلك فيه أثرًا كبيرًا،وظهر بشكل جلي في أغلب أعماله،أين دافع عن الطبقات المحرومة،ويحرضها على التمرد على وضعها المزري الذي خلقه الاستعمار الفرنسي.[1]

كما تأثر بشكل جلي بثقافة منطقته تلمسان،التي تتميز بأغلبية سكانية أمازيغية الأصل،خاصة في الجبال،بالإضافة إلى أقلية كروغلية[2] تتركز في المدينة،ولهذا نجد محمد ديب متأثرًا بشكل كبير بثقافته الأمازيغية الإسلامية،بالإضافة إلى الثقافة العربية والتركية والفرنسية،وصنع منه هذا التنوع الثقافي رجلا ذا أفق واسع وأكثر تفتحا على الثقافة العالمية والإنسانية،ويظهر ذلك بشكل جلي في أعماله الأدبية بعد إسترجاع الجزائر إستقلالها.

2-دراسته :

دخل محمد ديب المدرسة القرآنية في تلمسان ،تعلم اللغة العربية إلى جانب حفظه القليل من القرآن،وفي الوقت نفسه أدخله والده المدرسة الأهلية الفرنسية،فأتقن اللغة الفرنسية بشكل جيد،فرغم دراسته

[1] بشير بلاح ،تاريخ الجزائر المعاصر ،ج 2، ص 367.

[2] الكروغليون هم المولودون من زواج بين تركي وجزائرية أثناء العهد العثماني الذي امتد من1518 إلى 1830.ينظر بشير بلاح،تاريخ الجزائر المعاصر ج2،ص 367

ومعرفته بالثقافة الفرنسية وآدابها،إلا أن هذه المدرسة لم تستطع أن تطمس هويته الجزائرية الأمازيغية العربية الإسلامية .[1]

وعندما أنهى دراسته الابتدائية بتلمسان،إنتقل إلى مدينة وجدة المغربية القريبة من مدينة تلمسان الجزائرية،فواصل دراسته هناك،كما نهل من ثقافة و تقاليد المغرب الأقصى،التي لا تختلف كثيرًا في حقيقة الأمر عن الثقافة الجزائرية الأمازيغية العربية الإسلامية،والتي يمكن أن نطلق عليها الثقافة المغاربية،ثم عاد إلى الجزائر ليواصل دراسته في المدرسة العليا للأساتذة بوهران،لكنه طرد منها وهو على أبواب التخرج،ويعود سبب الطرد إلى مواقفه السياسية المعادية للاستعمار .[2]

3-حياته المهنية:

مارس محمد ديب العديد من المهن قبل أن تنفجر موهبته الفنية والأدبية،اشتغل في عام 1939م معلما في المدرسة الفرنسية بقرية "زوج بغال"* التي تقع على الحدود الجزائرية المغربية،لكنه لم يستمر في هذه المهنة أكثر من عام،لأنه رفض أن يدرس للأطفال الجزائريين برنامجا يشوه تاريخ وطنهم الجزائر ويستهدف طمس شخصيتهم وهويتهم الجزائرية،فانتقل بعد ذلك إلى مدينة وجدة المغربية،ليشتغل هناك كمحاسب،لكنه عاد إلى الجزائر،ليستقر بالعاصمة في عام 1942م،وقد كان العالم آنذاك يعيش حربا عالمية طاحنة،كما عرفت الجزائر نزول جيوش الحلفاء فوق أراضيها،فوظف محمد ديب إتقانه لأربع لغات،الأمازيغية و العربية والفرنسية والإنجليزية فاشتغل كمترجم لدى جيوش الحلفاء .[3]

[1] بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر ،ج2،ص 368

[2] المرجع نفسه،ص 368

* هو معبر حدودي بري بين المغرب والجزائر يربط بين وجدة المغربية و مغنية الجزائرية.

[3] الجيلاني ضيف،بناة المجد محمد ديب، دار الجيل العلمية ، الجزائر ، ص27

عاد محمد ديب إلى مدينة تلمسان بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945م،واستغل موهبته في الرسم،فاشتغل رساما للزخارف التي توضع على منتوجات الزرابي التي تشتهر بها مدينة تلمسان،لكنه عاد من جديد إلى العاصمة فبدأ يحتك ببعض الأدباء الأوربيين والجزائريين،ومنهم ألبير كامو ومولود فرعون وكاتب ياسين،فاكتشف هؤلاء موهبته الأدبية من خلال الأشعار والمقطوعات الأدبية التي كان يكتبها،فشجعوه أكثر على الكتابة مع تقديم التوجيهات له في هذا المجال .[1]

وإلى جانب هذه الكتابات الأدبية عمل محمد ديب صحفيا في جريدة ليبرتي لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري،ثم إنتقل منها إلى جريدة الجزائر الجمهورية في عام 1952م،وفي نفس السنة بالذات (1952م) نشر أول رواياته،وهي بعنوان (الدار الكبيرة) لدار نشر لوسوي بباريس،وتعتبر هذه الرواية الأولى من ضمن ثلاثيته الشهيرة،والتي تضم أيضا الحريق والمنسج،وقد حول المخرج الجزائري مصطفى بديع كل من الدار الكبيرة والحريق إلى مسلسل تلفزيوني يتابعه الكبار وحتى الصغار المعجبين ببطل الرواية عمر،وكأن محمد ديب بهذه الرواية يتنبأ بانفجار كبير سيحدث في البلاد ،ويحطم النظام الإستعماري الفرنسي ،ولم يكن هذا الانفجار إلا الثورة المسلحة .[2]

4-محمد ديب و الثورة المسلحة :

واصل محمد ديب نضاله من أجل تحرير بلده الجزائر،ولم يتخلص من أسلوبه في فضح الممارسات الاستعمارية،وتجلى في إصداره كتابا سياسيا عام 1959م عنوانه "وطنية جاوزت الحدود"،يفضح فيه الأساليب الوحشية التي يستخدمها النظام الاستعماري في الجزائر بهدف القضاء على ثورة الشعب الجزائري،ولم تكن أمام السلطات الاستعمارية إلا نفي الأديب وإرغامه على الخروج من الجزائر،فاتجه إلى أوروبا الشرقية،ومنها إلى المغرب

[1] زهرة ديك ،من روائع الأدب الجزائري ،ج 1، ص 406

[2] المرجع نفسه ،ص 407

الأقصى،وكان باستطاعة السلطات الاستعمارية اغتياله أو اعتقاله،لكنها كانت تدرك مدى السمعة العالمية التي يحظى بها هطال الكاتب،وأن أي محاولة من هذا القبيل معناه إثارة الرأي العام العالمي،مما سيضر كثيرا بالاستعمار الفرنسي في الجزائر .[1]

وفي عام 1959م نشر في منفاه رواية بعنوان "صيف إفريقي"،وتدخل ضمن مشروع ثلاثية أخرى،تدور أحداثها حول الثورة الجزائرية،وتؤرخ لها مثلما فعل مع الثلاثية الأولى أين أرخ فيها لإرهاصات اندلاع الثورة التحريرية الكبرى،لكن لم يواصل ديب نشر الروايتين الأخيرتين من هذه الثلاثية،ويعود ذلك إلى اليأس الذي انتابه بعد استرجاع الجزائر استقلالها،ومما لاحظه من انحراف كبير للنظام الذي استولى بالقوة على الحكم بقيادة أحمد بن بلة عن قيم ومبادئ هذه الثورة العظيمة،ولم يتوان ديب عن نقد هذا النظام الجديد الذي لا يمت بأي صلة بالطموحات والمبادئ والقيم التي استشهد من أجلها مليون ونصف مليون قتيل من خيرة أبناء الشعب الجزائري،بل اختار القطيعة مع هذا النظام الذي حول الجزائر إلى ملكية خاصة به في نظر محمد ديب،فلم يعد إلى الجزائر بعد استرجاع استقلالها إلا لفترة قصيرة،ليغادرها إلى الأبد،ويعيش في منفاه في أوروبا.

5-في المنفى :

إن معارضة محمد ديب للنظام القائم في الجزائر،كلفه محاولات هذا النظام محوه من الذاكرة الجزائرية،فحاول محو نصوصه الأدبية التي كانت موجودة في الكتب المدرسية في بدايات الاستقلال،لتعوض بنصوص أدباء يصفقون للنظام القائم،ولم يكتف هذا النظام بذلك،بل بذل جهده كله من أجل تشويه وتلطيخ

[1] بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 2 ، ص 370

سمعة هذا الأديب،وذلك بواسطة انتهازيين يلبسون لباس الثقافة،لكنهم مستعدون للتطبيل والرقص لأي نظام قائم وتنفيذ كل ما يطلب منهم .[1]

أما محمد ديب فقد انصب اهتمامه بعد استرجاع الجزائر لاستقلالها على كتابة نوع آخر من الأدب،يهتم بالإنسان مهما كان وطنه ولونه ودينه وثقافته،متجاوزًا في ذلك المفاهيم الضيقة كما حول في هذا النوع من الكتابات الإجابة على هواجس الإنسان الفلسفية ووصف أكثر لهذه الهواجس التي تشغل بالإنسان.

في عام 1970م عاد اهتمامه من جديد بالجزائر،وذلك بإصداره ثلاثية أخرى تدور أحداثها حول جزائر ما بعد استرجاع الاستقلال،تبدأ هذه الثلاثية برواية (إله وسط الهمجية)في عام 1970م،ثم (سيد القنص)في عام 1973م،وختمها ب (هابيل)في عام 1977م،لكن ما يميز هذه الثلاثية الجديدة الخاصة بالجزائر،هو عدم تخلصه من النوع الأدبي الجديد الذي تحول إليه،فهي أيضا لم تخل من الاهتمام بنفسية الإنسان وهواجسه الداخلية وتساؤلاته الفلسفية الكبرى،وذلك على عكس الثلاثية الأولى التي بدأها عشية الثورة،أين اهتم بالواقعية الاجتماعية[2].

زار محمد ديب في منفاه العديد من البلدان في أوروبا،كما عاش لفترة في البلدان الاسكندينافية*،ومنها بالأخص فنلندا والنرويج،وقد كانت حياته هناك وراء كتابة روايته (لليلة المتوحشة)،التي نشرها عام 1995م.

[1] بشير بلاح ،تاريخ الجزائر المعاصر ، ص 370

[2] المرجع نفسه ، ص 371

* تقع البلدان الاسكندينافية وسط قارة أوروبا،وهي تضم الدانمرك والسويد وفنلندا.

6–وفاته:

عانى محمد ديب في أواخر حياته من الغربة والوحشة والرغبة لرؤية وطنه الجزائر الذي لم يعش فيه إلا في ظل الاستعمار الغاشم،كما كان يعاني من عدة أمراض مزمنة،وانتقل إلى رحمة الله يوم 2 ماي من عام 2003م ب (سان كلو) إحدى الضواحي الفرنسية،وتم دفنه في نفس المدينة بحضور العديد من الشخصيات الأدبية والفنية والعالمية،وبوفاته رحمة الله عليه فقدت الجزائر والأدب واحدا من أهم الرجال الذين تركوا بصماتهم في الواقع الأدبي والمكتبة الجزائرية .[1]

7–إنتاجه:

كانت حياة محمد ديب حافلة بالعطاء وزاخرة بإنتاج أدبي متميز برهن فيه على أنه روائي جدير وكاتب يعرف ماذا ومتى ولمن يكتب ؟كتب العديد من الروايات والدواوين الشعرية،وتتمثل في ثلاثيتين وروايات أخرى أحادية وهي :

الدار الكبيرة(رواية) الجزء الأول من ثلاثيته أصدرها عام 1952م وقد طبعت ونفدت جميع نسخ الطبعة الأولى قبل نهاية الشهر للقراء،ثم أصدر روايته (من يتذكر البحر) ،ثم الجزء الثاني من ثلاثيته (الحريق) التي سبقت اندلاع ثورة التحرير بثلاثة أشهر بعدها أصدر الجزء الثالث من ثلاثيته وهو رواية(النول) عام 1957م وقد نشر بين عامي(1970م و 1977م) ثلاث روايات هي (إله وسط الهمجية) عام 1970م،و (سيد القنص) عام 1973م ، و (هابيل) عام 1977م . أما رواياته فآخرها (إذا رغب الشيطان) و (الشجرة ذات الفيل)عام 1998م ،وخمسة دواوين شعرية منها (آه لتكن الحياة) عام

[1] الجيلاني ضيف ، بناة المجد محمد ديب ،ص 80

1987م، وأربع مجموعات قصصية منها (الليلة المتوحشة) عام 1997م وثلاث مسرحيات آخرها (ألف مرحى لمومس) عام 1980م .[2]

محمد ديب أديب جزائري شهير ، عرف بغزارة إنتاجاته الأدبية وقدراته العالية على ممارسة كل الأجناس الإبداعية ، فهو الروائي والشاعر والقصاص والمسرحي وكاتب مقال ...الخ. ترك إرثا ثقافيا وأدبيا أثرى به المكتبة الجزائرية والعالمية،ما خلد اسمه في سجل كبار الكتاب والمبدعين.

[2] المرجع نفسه ،ص76-77

ب – ملخص رواية الحريق:

تعد رواية الحريق لمحمد ديب (1920م-2003م)من أهم وأبرز النصوص الروائية في الجزائر وهي جزء من ثلاثية كتبها محمد ديب قبل اِندلاع الثورة التحريرية وأثناءها ،وقد أتفق مؤرخو الأدب الجزائري على تسميتها بالثلاثية الجنوبية (الدار الكبيرة، 1952م)،(الحريق،1954م) ،(النول، 1957م) ،جعلت الكاتب الفرنسي الكبير لويس آراغون يُطلق على ديب لقب (بلزاك الجزائر)،وقد شغلت هذه الثلاثية النقاد الجزائريين كما النقاد الفرنسيين على غرار جان ديجو وشارل بون ،هذا الأخير يعتبر أحد أهمّ المتخصصين في روايات ديب ،وقد أفرد له كتبا بأكملها.

وصفت هذه الثلاثية الوضع الاجتماعي للجزائريين إبان الاحتلال الفرنسي ،وتحديدًا في الفترة التي شهدت بداية المدّ الوطني في وعي الجزائريين بعد الحرب العالمية الثانية ،وأحداث 08 ماي 1945م كانت البداية لشرارة العمل الثّوري في شقّه السّياسي والنّضالي ،وقد جسّد محمد ديب دور المثقف المناضل من خلال إسهاماته. رواية الحريق صوّرت اِنتفاضة فلاحي قرية بني بوبلان بأعالي تلمسان ، فمحمد ديب نقلنا إلى أعماق الريف إلى منطقة معزولة في "بني بوبلن "هذه المنطقة الجبلية النائية عن العالم ، التي يؤسر فيها الفلاحين رغم أن المسافة التي تفصلها عن تلمسان لا تزيد عن ثلاث كيلومترات رسم لنا صورة موجزة عنها حيث يقول في مستهل روايته :" إن حياتهم تنقضي أيام زراعة ورعي لدى المستوطنين الفرنسيين ، وهي حياة تبلغ من طابع القدم ،ويبلغ أصحابها من بساطة العيش درجة تحسبهم معها آتين من قارة منسية .إن الأرض هناك في الأعلى صعبة المراس لا ماء فيها ،تختنق ظمأ . ولا تكاد سكة المحراث تخزها ." [1]هذه الرواية كانت بمثابة رواية الواقعية النقدية التي لم تكتف بوصف الواقع المزري للجزائريين بسبب السياسة الاستعمارية

[1] محمد ديب ، رواية الحريق ، ترجمة الدكتور سامي الدروبي ، دار الهلال ،مصر ،القاهرة1970م ، ص 6

بل منحت الصّوت والكلمة لضحايا التّاريخ لينتقدوا وضعهم، وكان ذلك تمهيدًا لنشوب الحريق العظيم الذي سيأتي على الأخضر واليابس.

في الحريق الرواية الثانية من هذه الثلاثية ،يغادر عمر ،في سن الحادية عشرة ،دار السبيطار متوجها إلى الريف ،للعمل في القطاع الزراعي الذي تعمل فيه غالبية السكان في الجزائر ،لكن المستفيدون الرئيسيون من ثروات الارض هم المعمرون الذين يحوزون على الملكيات الكبيرة."في قرية بني بوبلن تجري الأيام الجميلة فيها هادئة والضياء يتأرجح فيها مضطرحا....الحياة بهذه الأرض كان لا يعرفها عمر إلا قليلا وذلك منذ أن كشف له عنها ذلك الرجل الذي يدعى كومندار" [1] ،سيتعلم عمر أسرار التعامل مع الأرض ،على يد كومندار الرجل الكهل المقعد جراء حياة عسكرية طويلة كلفته بتر ساقيه في آخر الأمر ،ورغم ذلك كان قلبه يشبه شجرة من حديد،كان صوته يفسر له الأسرار الكبرى للحياة والعالم .سينضم إلى مجموعة الفلاحين الكادحين الذين لا يملكون سوى قوت يومهم، والذين هم غالبا فريسة للجوع ،لا يجدون مخرجا للتعبير عن حالتهم البائسة إلا بالإضراب الذي يتعامل معه مالكي الأرض بالقمع والغدر والحيلة .كان ثمة مأساة تدبر على تلك المرتفعات، إذ أن أصحاب الأراضي سيستغلون حريقا شب في أكواخ المزارعين، ليتهموا به كل من اعتبر محرضا عن الإضراب، فيقمع ويسجن ويعذب.

يصف الكاتب تفاصيل الحياة في الريف الجزائري ،ويقص قصة الحياة الحزينة الشقية التي يعيشها الفلاحون ،الشيخ باديدوش العجوز وسلمان وزهور وأختها ماما وزوج أختها قرة الخائن لأرضه وناسه الفلاحين ،وعزوز وسيد علي .....و شخصية حميد سراج التي أخذت مكانها في النضال من أجل حياة أفضل فتلقى ما يلقاه كل المتمردين ،وتطرق الروائي إلى علاقة الفلاحين بالمستوطنين الفرنسيين،ووصف المصادمات العنيفة بينهم وبين رجال الشرطة،"ذلك أن المستعمر المستوطن يرى إن عمل الفلاح من حقه تماما بل أنه ليريد أن يكون الناس أنفسهم له ،ولكن الفلاح رغم إنه ملكه اِسما ،هو في حقيقة الأمر سيد

[1] محمد ديب ،رواية الحريق،ص 12

الأرض الخصبة البهائم والمحاصيل والحياة في كل مكان ،الأرض اِمرأة ...." [1] ،ولكن في حقيقة الأمر "هؤلاء المستوطنون لقد وصلوا إلى هذه البلاد بأحذية مثقبة نعالها ."[2]

من خلال هذه الرواية لمسنا مدى تطور الوعي الوطني ،وذلك من خلال شخصية (عمر)،فعمر يمثّل إحدى أيقونات الشخصية الروائية في الرواية الجزائرية الحديثة ،فهو الشخصية الأشهر ،لأنّ محمد ديب اِستطاع أن يختزل فيها نظرة جيل إلى الحياة وإلى الواقع في ظلّ الاستعمار.

بدأ كل شيء من مشهد حواري ،من أنضج الحوارات الروائية وأذكاها ،فلقاء المناضل حميد سراج بفلاحي بني بوبلن ،كان بداية اِختبار لإمكانية الجزائري على أخذ الكلمة بحرية ومسؤولية ،والإنصات إلى مختلف الآراء والمواقف. هل يستطيع الفلاح أن يبني فكرة عن واقعه ؟ما حدود معرفته بالعالم الذي يعيش فيه ؟بسبب الحوار الذي جرى بين هذا المثقف والفلاحين اِتضحت الكثير من الأشياء لفلاحي قرية بني بوبلن الكثيرون لم يصدقوا لما سمعوا من سراج أنّ في فرنسا في تلك اللحظة (صيف 1939م) فلاحون يعانون مثل معاناتهم، ويعملون أجراء عند غيرهم. أما الدّهشة الكبرى فكانت لما أخبرهم أنّ فرنسا في هذه اللحظة خاضعة لاستعمار دولة أخرى. أيُعقل ذلك؟ هل يمكن أن يكون هذا الرّجل قد فقد صوابه، وقد جاء من المدينة لأجل أن يسخر من أميين أمثالهم؟ أسئلة كثيرة تفجرت، أمام حقيقة بدت لهم كأنّها المستحيل أيعقل أن تكون فرنسا التي تستعمرنا مستعمَرة؟

اِستطاع سراج من خلال الصّدمات التي كان يثيرها في نفوس الفلاحين أن يسقط من مخيلتهم صورة فرنسا التي لا تُقهر، بل بدت في الأفق فجأة علامات أمل ما، بأنّ هذا الذي نعتقد أنه لا يُهزم، ليس أكثر من كائن ضعيف لما يكون أمام إرادة أقوى منه.

[1] محمد ديب ،رواية الحريق، ص 28

[2] المرجع نفسه ، ص 31

اِنتهى الاجتماع بهمهمات الفلاحين الذين لم يصدّقوا تماما ما كان سراج يعرضه أمامهم ،فرواية الحريق كانت بمثابة بداية ونبوءة للثورة التحريرية ،فقد اِنتهت بحريق مهول ،هو حريق الثورة القادمة.

ج – صورة المرأة في رواية الحريق :

تمثلت صورة المرأة في العمل الإبداعي قصة أو رواية رمزا للوطن والأم والحبيبة،كما مثلها جسد المرأة الذي كان الأداة التي استعملت للدلالة على هذه الرموز التي حملت العديد من القضايا السياسية والاجتماعية،كما تعود رمزية المرأة في كلا الخطابين الذكوري و الأنثوي للجمع بين قدرة التخيل عند كلا الجنسين فلم تختلف صورة المرأة الرمز بين الرجل المبدع والمرأة المبدعة .[1]

لقد شخص الأدباء المرأة في حضورها العادي في البدايات الأولى للرواية أي في الصورة العادية للأم،الأخت،الابنة،الخالة...أي تشخيص عادي وطبيعي،كما تكررت صورتها في الوصف الدقيق للممارسات الجنسية،الزفاف،تقاليد وعادات القرى الجزائرية في إحياء ليلة الزفاف [2].فتعد من أهم الركائز المساهمة في بناء المجتمع،فكما يقال :المرأة هي نصف المجتمع،وهي التي تلد وتربي النصف الآخر،ويؤكد ذلك قول الشاعر حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

ففي رواية "نار ونور"للدكتور عبد المالك مرتاض جاء حضور المرأة في الصورة التي تحددها التقاليد العربية،فالبطلة تحدد شخصيتها بالطريقة التقليدية التي عرف بها أسلافنا المرأة العربية المرأة الحرة،أما في رواية(ريح الجنوب)لعبد الحميد بن هدوقة تقوم الرواية على محورين هما:الأرض والمرأة التي تجلت صورتها في الفوارق الموجودة بين المرأة في الريف والمرأة في المدينة والسيطرة عليها وتدخل الرجل في حياتها.[3]

وقد ذهب محمد ديب إلى أن المرأة الجزائرية تقف عاجزة أمام جبال من العادات والتقاليد التي تحول دون تحقيق كيانها الشخصي،ومن هنا جاءت بطلاته ذات شخصية قوية لهن عزائم كبيرة فهو يمجد

---

[1] لخضر لمياء ,الأنثوية في الرواية الجزائرية المعاصرة المقاربة السميائية بين رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ,مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في مشروع المناهج النقدية المعاصرة ،قسم الآداب واللغة العربية ,جامعة السانية،وهران 2013م/ 2014م، ص90

[2] المرجع نفسه ، ص92

[3] لخضر لمياء ،الأنثوية في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص93

المرأة ويضعها في أعلى المراتب الاجتماعية كالملكة أو الأميرة،فهي صاحبة الشخصية القوية ،تفرض نفسها بحضورها المكثف وبقراراتها الصائبة التي لا يختلف معها قارئ أو يشعر بالمغالاة فيها،كما نقل صورة المرأة أثناء الثورة .[1]

وأضاف الدكتور محمد مصايف عن المرأة حيث وجد أن العنصر النسائي قد احتل في الرواية العربية الجزائرية مكانة ممتازة،مكانة لا تقل أهمية عن مكانة الرجل،كما أنها توضع في الصورة العادية لها حيث يقول: " والمرأة في روايتنا لا تقوم بدور الخليلة التابعة كما كان الشأن غالبا في الأعمال الأدبية ذات النزعة الرومانسية أي لا تقوم بدور الخادم للرجل،والمسلي له،بل تصطلح تماما مثل الرجل بدور النضال،قيادي في المسيرة،ويكفي أن نقرأ روايات (ريح الجنوب ل عبد الحميد بن هدوقة) ، (الريح تشرق على الجميع ل إسماعيل غموقات)... فالثورة الجزائرية لا تقوم على دور الرجل وحده بل تقوم عليه وعلى عنصر النساء."[2]

[1] أم الخير جبور ,الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، ص228-229

[2] محمد مصايف،الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام،الدار العربية للكتاب ،الجزائر ،1983 م، ص312

المرأة الجزائرية وخصوصية وضعها:

للمرأة الجزائرية دور كبير في بناء المجتمع حيث تسهم في عملية التقدم والتحرر،فقد مرت المرأة الجزائرية بثلاث مراحل:"إن للمرأة في المجتمع الجزائري تاريخ طويل ومتنوع قسم على ثلاث مراحل–الفترة الاستعمارية–فترة التحرير الوطنية–فترة ما بعد الاستقلال ."[1]

ففي الفترة الأولى كانت المرأة مضطهدة،وهذا يعود للفترة الاستعمارية،وأثرها السلبي على معاملة الرجال للنساء،فالاستعمار الفرنسي عرف بقسوته،على الأهالي،وهؤلاء لا ينقلون المعاملة نفسها إلى بيوتهم ويحاولون أثبات وجودهم من خلال أسرهم وعائلاتهم [2] ، ويعود السبب إلى الطبيعة العامة للمجتمع الجزائري الذي كان يتميز إلى حد كبير بالمحافظة وبالنظام الأبوي.[3]

فالثورة المسلحة ساعدت المرأة على أن تبرز في صورة المرأة المحاربة المناضلة،فكان هذا الحضور دليلا بارزا على التحول الاجتماعي الذي حدث في البلاد وفرض على المواطن الإسهام في محاربة الاستعمار فكانت المرأة مساعدا قويا للرجل في ذلك.

أما بعد الاستقلال عادت المرأة لوضعها السابق غير أنها حاولت التحرر بظهور النزعات التحررية النسوية،وذلك عندما ظهرت الحركة الوطنية السياسية في مطلع القرن العشرين واكبتها المرأة كما واكبت قبلها المقاومة المسلحة،لأن الحركة الوطنية أولت العناية بها وشجعتها على التعليم ، وامتهان الحرف المختلفة وعلى تطوير حياتها الاجتماعية و الاقتصادية،وحاربت معه القيود التي كانت تعيقها على النهضة والتطور فتجاوبت مع حركات الإصلاح النسوية العربية مشرقا ومغربا.[4]

---

[1] صبرينة الطيب ,آليات السرد في الرواية النسوية الجزائرية ,دراسة بنيوية تحليلية ,مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ، تخصص سرديات , جامعة الحاج الأخضر ، باتنة ،2013م/2014م, ص54

[2] المرجع نفسه ، ص 55

[3] المرجع نفسه ، ص65

[4] يحي بوعزيز ,المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية ،دار الهدى ،ميلة ، 2011 م، ص9

وفي الأخير نقول أن ما يهمنا ليس وجود المرأة في العمل الروائي فحسب وإنما كيف تجسدت صورة هذه المرأة وطبيعة ما تحمله هذه الصورة من قضايا سياسية واجتماعية وكيف يتعامل القارئ معها وما يجسده الكاتب من رؤى يتبناها وتعبر عن انتماءاته.

من بين أهم المواضيع التي أثارها الكاتب محمد ديب ولم يغفلها المرأة فهي التي كانت لونا من ألوان المأساة الإنسانية في المجتمع الجزائري خلال فترة الاحتلال ، فقد صور المرأة الجزائرية في مواقف متناقضة متباينة، وصاحبها في محنتها وفي لحظات ابتهاجها ففي الثلاثية التي تجلى فيها البعد الواقعي لكتاباته كانت المرأة أحد الأعمدة التي سقف عليها الكاتب الرواية ، فالمرأة ممثلة في الجدة والأم والبنتين تمثل نماذج المرأة الجزائرية ،هذه النماذج التي ترمز التي إلى فئات نسوية عريضة تعاني الجوع والفقر والحرمان وتعاني سلطة الأحلام والتطلع إلى شعاع لأمل في هذا النفق المظلم .[1]

مما لا شك فيه أن قارئ رواية الحريق يستكشف أن أهم الملامح التي ركز عليها محمد ديب في وصفه المرأة الجزائرية تكمن في تدهور الشكل الخارجي والداخلي فهاهن نساء بني بوبلن فقدن لمسة الجمال الطبيعي وبريق الوجه المضيء لشقاء الحياة،وتحولن إلى كائنات لا تشبه الأنوثة في شيء ففي قرية بني بوبلن يتحول الجمال إلى قبح .

يقول السارد : " أما النساء في بني بوبلن فقد لوحتهن الشمس حتى صرن بلون العسل،إنهن كالذهب ومع ذلك لا شيء يدوم لهن طويلا... فما أسرع ما تصبح أجسامهن أجسام حمالين،وما أسرع ما تتحفر أقدامهن التي تطأ الأرض،فإذا هي ملأى بشقوق عميقة ،جمالهن يذبل في مثل لمح البصر بطريقة أو بأخرى،ولا يبقى لهن من آثار الجمال إلا صوتهن البطيء العذب الرخيم ،غير إن جوعا رهيبا يسكن نظراتهن ."[2]

[1] الجيلاني ضيف ، بناة المجد محمد ديب ، ص 58

[2] محمد ديب ، رواية الحريق ، ص 28

والملاحظ أن ما يطبع صورة المرأة في رواية الحريق هو التعميم في وصف المرأة ، ففي هذا العالم القروي لا يختلف مصير النساء عن مصير الفلاحين،فثمة تماثل بين الرجال والنساء بل تطابق كلي،كما أن وضعية المرأة الفلاحة أو التي تعيش في القرى لا تختلف عن نظيرتها المتمدنة. وحينما ترسم صورة المرأة ببني بوبلن في رواية الحريق تقدم في شكل لوحة جماعية للنساء بعامة إذ لا تستثنى الواحدة من الكل،وما يلاحظ كذلك التقارب البادي بين نساء القرى ورجالها من خلال إبرازهن أو إبرازهم في مجموعات أو بصورة فردية،فالنساء يقمن بأدوارهن بشكل شخصي أو كلي مثل الرجال.[1]

ومن بين الأعمال أو العادات اليومية التي كانت تحبها وتمارسها نساء بني بوبلن بسعادة كبرى لأنها تمنحها الفرصة للخروج والالتقاء بالصديقات والجارات عند جلب الماء من العيون،فالكثيرات منهن يفضلن البقاء أمام العين لساعات متذرعات بانتظار دورهن .

جاء في رواية الحريق : "كان عدد من النساء لا يزال إلى هذه الساعة قرب العين ذلك أن الماء الساقط من العين في الشتاء والصيف معا يشكل خيطا نحيلا ،فالفلاحات يتلبثن بالمكان هنالك وقتا لا نهاية له،فيثرثرن ويلقين على الرجال نظرات سريعة مختلسة ." [2]

ومن الشخصيات البارزة في رواية الحريق من النساء أم عمر المساة " عيني " هي أرملة لنجار وهي تتولى مسؤوليات معقدة لأسرة،فهي امرأة،وأم،وعاملة،وربة أسرة،فهي مضطرة إلى العمل كي توفر الخبز لأبنائها ،فرغم الآلام فإن عليها أن ترعى أمها وأبنائها.

تعيش عيني وسط جو اجتماعي متشابه،فكم من الجارات أرامل مثلها " يمينة " و " زينة "[3].كان يساعدها أهل الخير من الجيران على إعالة أبنائها الأربعة "عيوشة ومريم والجيلالي وعمر وأمها ".

[1] أم الخير جبور ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ،ص231

[2] المرجع السابق ، ص34

[3] زهرة ديك ، من روائع الأدب الجزائري ،ج 1 ، ص414

جاء في رواية الحريق :" كان يساعد عيني أناس من أهل الخير يكتمون أسمائهم في كثير من الأحيان،لقد مات زوجها منذ مدة طويلة... وأصبحت تقبل بوادر الكرم هذه في غير مرارة،بل أصبحت تقبلها في شكر واعتراف بالجميل،كانت هذه المساعدات تدبر أمورها يوما أو يومين " .[1]

كما كانت تساعدها أختها " لالا " أحيانا في تدبير أمورها التي كانت كثيرة التردد على عيني وأولادها،وهذه ميزة يمتاز بها المجتمع الجزائري،المحبة والتعاون والتآخي.

يقول محمد ديب :"إن لالا تزورهم في أحيان كثيرة،فكلما جاءت حملت اليهم كسر من خبز يابس،تكون قد صرتها خفية في قطعة من قماش،وكانت تخشى أن يفاجئها الآخر... وكان زوجها لا يطيق أن تخرج من البيت فتيتة ".[2]

يقول كذلك :"وفي بعض الأحيان،وهي أحيانا نادرة كانت الخالة تضيف إلى صرتها قليلا من الدقيق فتعجنه عيني وتخبزه في اليوم نفسه .وكانت تقتصد في هذا الخبز الجديد... وفي أحيانا أخرى كانت لالا تجيئهم بقليل من البن أيضا أو بشظيتين كبيرتين من السكر أو علبة فيها بقايا وجبة،وكانت في بعض الأحيان تحمل إليهم بعض الفاكهة أو قليلا من الفحم ".[3]

كانت عيني تعمل مقابل أجر قليل حتى تتمكن من توفير حاجيات بيتها الصغير،ذلك الأجر الذي في أغلب الأحيان لم يكن كافيا يقول السارد :" لذلك كانت تعرض على أبنائها ما تتقاضاه في آخر الأسبوع أجرا على عملها،كانت تريد أن يروا هذا الأجر بأعينهم إنه أجر قليل [4]... هآنتم ترون أن مبلغا كهذا المبلغ لا يمكن أن يفيد في شيء ، ترون أننا إذا اشترينا خبزا فلن نستطيع أن نشتري زيتا،وإذا اشترينا

[1] محمد ديب ، رواية الحريق ، ص153

[2] المرجع نفسه ، ص180

[3] محمد ديب رواية الحريق ، ص 180

[4] المرجع نفسه ، ص153

زيتا فلن نستطيع أن نشتري خضرا،وإذا اشترينا خضرا فلن نستطيع أن نشتري بنا،نعم هذه هي حياتنا.هل رأيتم بأعينكم ؟ "[1]

تدور الفصول الأخيرة من الرواية في دار السبيطار . إن بؤس الأسرة آخذ في الازدياد ،فلم يعد لدى عيني أي عمل ، وأسرتها تعيش في ضيق وضنك عندها يخطر ل عيني أن تهرب بعض الأقمشة من مراكش إلا أنها تصطدم بالحرب ويصبح الانتقال من بلد إلى آخر يحتاج إلى ترخيص ولم تستطع الأم عيني أن تحل الأزمة التي تعيش فيها أسرتها .

يقول الراوي على لسان عيني متحدثة إلى أولادها:"قررت عيني عندئذ أن تقوم برحلة من تلك الرحلات الغريبة، لماذا لا نحاول التهريب مرة أخرى ؟... إنه لا بد لنا من طعام ،أليس كذلك ؟ إذن لم يبق إلا هذا الأمل.أن أسافر إلى مراكش،وأن أعود من هناك ببعض قطع القماش فأبيعها .هنا تذكروا أن هذا الأمر ليس بالأمر السهل.[2]

أما صورة المرأة التي تعاني حالة حزن بفقدانها لقريب أو عزيز فتمثلها في الرواية :" زهرة " و " صالحة "،هاتان المرأتان اللتان اعتقل لكل منهما زوجها من طرف المستعمر الغاشم.

يقول بن سالم عادة وهو أحد فلاحي قرية بني بوبلن متحدثا عن زهرة وصالحة:"إنها لا تملك إلا عينين تبكيان،كان زوجها يعمل،فيكسب ما يكفل حياة الأسرة... أما الآن بعد غياب زوجها،فإن الناس تساعدها هي وصالحة...إن لكل منهما أطفال،ثلاثة أو أربعة،ولكنهما تعرفان كيف تصبران على المحنة ."[3]

كذلك :

-قال أحد الفلاحين:

---

[1] المرجع نفسه ،ص153

[2] المرجع نفسه، ص154

[3] محمد ديب ،رواية الحريق ، ص35

"هنا في هذا المكان نفسه اعتقل زوجها.

وقال جاره:"شهدت أنا ذلك أيضا.

وقال بادعدوش في همهمة بحاء.

ما كان أبشعه من مشهد ! "[1]

كذلك "صفية " التي جند أولادها في جيش الاحتلال بكت بكاء شديدا،وأبكت معها كل نساء قرية بني بوبلن .

يقول الراوي:"واستيقظ في قلوب النساء كلام قديم فأجهشن جميعا في البكاء ،حتى اللائي لم يجند لهن زوج،ولا ابن التففن نحو صفية يبكين،وارتفع صوت صفية مرة أخرى.

أولادي،أولادي،أولادي

وعادت تلطم فخديها وذراعيها وتمزق وجهها ."[2]

أما صورة المرأة المضطهدة التي تعاني سوء المعاملة من طرف زوجها تمثلت في" ماما " أخت زهور زوجة قرة علي الخائن ، الذي لم يكن محبوبا من طرف الفلاحين ، الذين كانوا يعتبرونه عميلا للسلطة ، ولقي منهم التهميش عقابا له.

يقول الراوي:"لقد باع قرة نفسه.إنه يرى هذا في ملامحهم الجامدة وفي حركاتهم،هو عميل للسلطة،لا لشيء إلا لأنه قاوم ذلك الإضراب الذي قام به العمال الزراعيون ."[3]

ماما التي لم ترزق بمولود –بسبب عقم زوجها–كانت تعاني من الخوف والظلم وسوء المعاملة،لأن زوجها كان يضربها ويشتمها،فكانت هذه المرأة تتعرض للعنف اللفظي والجسدي.

---

[1] المرجع نفسه ، ص36

[2] محمد ديب ،رواية الحريق ، ص 110

[3] المرجع نفسه ، ص 187.

يقول الراوي : "إن قرة عامل ماما هذه المعاملة منذ أن أصبحت تعيش في هذا البيت . بدأ ذلك بعد زواجها بمدة يسيرة ،ثم تفاقم حين فقد زوجها كل أمل أن يكون له أولاد في يوم من الأيام .وكانت ماما لا تشعر بفرح إلا في صحبة أختها حين تجيء إليها من وقت إلى وقت . أما قرة فإنها لا تشعر نحوه إلا بالشك والحذر ، حتى إذا قاربها لم تحس إلا بالعذاب ."[1]

يقول أيضا على لسان ماما:"إن هذا الرجل لقاتلي آخر الأمر.

وكانت تقول : من حسن الحظ أن زهور معها.لقد ساعدتها زهور كثيرا هذه الأيام الماضية.مسكينة زهور.وقصت ماما على أختها ما وقع في ليلة البارحة بينها وبين زوجها. أرتها شفتيها الممزقة،وبكت بكاء مرا واستمطرت السماء وابلا من اللعنات على رأس قرة.

-أود لو تبقي الوقت كله معي يا أختي. إنه يخيفني هذا الرجل. ابقي بضعة أيام فحسب،إن أمنا ليست في حاجة إليك.لا تتركيني وحيدة . "[2]

يقول كذلك:"وسحب قرة يده التي كانت مدسوسة في جيب سرواله،وراح يضرب امراته.لقد أصبح وجهه أحمر قاسيا.وكان يكتفي بالضرب.إن يده تهوى على زوجته بحركات طويلة جامدة كأنما تحركها إرادة خاصة...كان يضرب ويضرب.وأخذ الكلام يفرقه أثناء ذلك .[3]

أما صورة المرأة الثرية في رواية الحريق فتبرز في شخصية " زهرا وصديقتها" .

[1] المرجع نفسه، ص190

[2] محمد ديب ،رواية الحريق، ص189

[3] المرجع نفسه ،ص 193

تقول الكاتبة جبور أم الخير:"والملفت للنظر أن النساء اللواتي يظهر عليهن الثراء أو تعرفن بانتسابهن للعائلات العريقة والغنية فيلقين عناية أكبر [1].فلربما لثرائهن أو بسبب الجوع كانت عيني تسافر للمغرب لشراء القماش وجهاز العرائس وغيره وإعادة بيعه لهن.

يقول الراوي :" امرأتان ذميمتان ضخمتان،متسربلتان بحايكين ناصعي البياض... إنهما تملكان الثراء ".[2]

صورة الفتاة في الرواية تمثلت في " ريم " ابنة بادعدوش، تلك الفتاة المسكينة التي كانت تشتغل في منزل "ميسيو فيار" أعمالا شاقة وقاسية،وأجرتها مقابل عملها طعامها حتى مرضت ثم ماتت.

يقول بادعدوش :"رموا بنا إلى الخارج أنا وزوجتي وأولادي وما لنا من أمتعة. إن ابنتي الكبرى ريم التي كانت تسير في عامها السادس عشر،كانت تعمل خادمة في منزل ميسيو فيار لقاء اطعامها فحسب،ولقد ظلت تعمل في منزلهم ست سنين،ثم مرضت،فما كان من ميسيو فيار إلا أن طردها،غير مكتف بأنه أرهقها العمل وماتت بعد قليل،وسألني هل عندي ابنة أخرى أقدمها إليه؟... ولقد رفضت أن أعطيه بنتا من بناتي،أعلنت له إنني غير مستعد،لإشقاء طفلة بريئة ... فلما رفضت قرر أن يطردنا جميعا من الكوخ الذي سبق أن أعطانا إياه. "[3]

عايدة أديب بامية ترى:"أن السيدات الكبيرات يحظين باحترام كبير وخاص في المجتمع القبائلي"[4]حيث رسم محمد ديب صورة الجدة في "الخالة خدوجة والجدة أم الخير اللتان كان الجميع يحب

[1] أم الخير جبور ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، ص237

[2] نفس المرجع السابق ، ص163

[3] محمد ديب ،رواية الحريق، ص 131-132

[4] عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925م- 1967م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982م ، ص 228

الجلوس إليهما والاستماع إلى حديثهما،كانتا تفضلان الحديث عن الماضي الجميل وعن الحرية،الأيام التي سبقت مجيء الفرنسيين.

يقول محمد ديب:"اسمع مثلا ما تستطيع الخالة خدوجة أن ترويه لك عن الماضي،بل اسمع ما ترويه الجدة أم الخير،إن حياة الجدة أم الخير يرجع عهدها إلى تلك الأيام المتوحشة،أيام الحرية التي سبقت مجيء الفرنسيين،إن أم الخير عليمة بما كان عليه ماضينا فإذا تكلمت امتلئ الهواء بأطياف لا ترى وبأصوات ،فأنت يامن تسمع كلامها ،اعلم أن هذه الأصوات الأليفة هي أصوات ناس من عصر آخر." [1]

وما أكثر ما صور محمد ديب العذاب والعناء اللذين يملآن منطقة بني بوبلن وعرض مشاهد أخرى من تعب الإنسان وشقائه .

يقول كذلك في صدد حديثه عن إحدى النساء وهي " خضرة " أم سعيد صديق عمر :"أخذ عمر ينظر في عينيها الغائرتين ، وقسماتها النحيلة .كانت الرحى تطحن قوى هذه المرأة كما تطحن الحبوب التي تدرس فيها ...وخارت قواها فاستلقت على الأرض ." [2]

أما موضوع الحب كونه يتعلق بالمرأة والرجل فنجد الكاتب محمد ديب-كما بين في حديثه ل عايدة أديب بامية- أنه يعبر عنه بتحفظ كبير،رغم اقراره أن الإنسان يملك أن يملأ الكتب به والسبب في ذلك الوسط التقليدي المحافظ،فالتقليد وسلطة الدين تمنعان التوسع في مثل هذه الموضوعات ومناقشتها بصورة علنية بالمكتوب أو بالصورة [3].فنجد منه في رواية الحريق بعضا من تلك العلاقة الحميمة غير المكشوفة بين زهور وعمر .

حيث يقول الراوي:"وزهور مستلقية على ظهرها حتى لكانها نائمة... والصبي يكويه ألم أخرس." [4]

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 28

[2] محمد ديب،رواية الحريق ،ص 25

[3] عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ،ص 229

[4] نفس المرجع السابق ، ص 102

يقول أيضا :" ظلت زهور مستلقية ورأسها على حافة الماء وجسمها لا يزال عاريا ... إنها كالنائمة المفتوحة العينين يحملها نهر مضيء لا يقاوم ولا يغلب. " [1]

إن البعد الإنساني في كتابات محمد ديب لا يخفى على القارئ لرواياته وأعماله التي كانت في مجموعها تشريح للنفس البشرية في مختلف حالاتها ونزواتها حيث كتب ديب عن الإنسان بمختلف أبعاده، وكتب عن القيم التي تمثل حياة هذا الإنسان الشيء الكثير ، صور العواطف الجياشة من حب وكره وحقد وخيانة ، وغاص في أبعاد الألم الإنساني والمحنة التي يعيشها الإنسان الجزائري ،وكان بارعا إلى حد بعيد في الكشف عن حقيقة هذه الإنسانية .

لقد عاشت النساء الجزائريات واقعا امتزج فيه التأثر بالطغيان وتسلط السلطة الذكورية بالمعاناة التي اشتركت فيها مع الرجل ،وكانت المرأة العنصر الأكثر انفعالا وتفاعلا مع الواقع الذي جاء به المحتلون إلى الجزائر وذلك لشفافية نفسها وإحساسها المضاعف بهول وحجم المعاناة اليومية للناس في هذا المجتمع، ولعل محمد كان من بين أكثر الجزائريين استشرافا لهذا الموضوع واهتماما به .

جسد محمد ديب واقع المرأة بصدق تام كما عاشته فهي المسؤولة بعد غياب الزوج مسؤولية اجتماعية كاملة في مجتمع ذكوري النزعة وهي ملزمة بالعمل وتوفير القوت لهذه الأفواه الشاغرة ، وقد صور المرأة في وضعيات عمرية مختلفة،في العجوز والأم المسؤولة عن الأبناء والبنات والمتحملة للمشاق التي تعجز الرجال ،والفتاة الضعيفة في مجتمع خلقت فيه المرأة لتكون ضعيفة ولتبقى حبيسة الدار تنتظر ما يوفر لها الرجل من لقمة العيش ، والقوية التي تهب لمساعدة الأسرة في توفير الخبز والتطلع إلى شراء اللحم أو البيض كما فعلت أختا عمر .[2]

[1] محمد ديب ،رواية الحريق، ص 103

[2] الجيلاني ضيف ،بناة المجد محمد ديب ،ص58-59

هذه النماذج التي اختارها محمد ديب لم يخترها جزافا وإنما اختارها بعناية فائقة واستطاع أن يصور عوالم المرأة الخفية من الغيرة والحب والكره وما إلى ذلك وكأنه عالم نفس متخصص في الموضوع .

إن المرأة حاضرة في المشهد الروائي ل محمد ديب وهي تعكس دورها الاجتماعي ومظاهر معاناتها ومشاكلها التي تتفاقم سواء قبل الاستقلال أو بعده وخلاصة رؤيته للمرأة مخالفة للنظرة الكلاسيكية لأدبيات الحياة فهي ليست المخلوق الضعيف العاجز والمفعم بالمشاعر والعواطف ،إنها في نظره أكثر من ذلك فهي تتجاوز هدا الواقع إلى مشاركة الرجل في مقاومة الاحتلال والسعي من أجل الخبز ، في رواية الحريق بالذات ، يريد محمد ديب أن يقول بأن المرأة الجزائرية لا تختلف عن الرجل الجزائري ،ولا تقل عنه أيمانا بالوطن ورغبة وقدرة على تغيير الواقع الذي فرضه الاحتلال الفرنسي ،إنها تحمل القوة التي اكتسبتها من الواقع القاسي المظلم الذي وجدت فيه لتتحول هذه القوة إلى مقاومة عنيفة رافضة للمأساة والمعاناة .

خاتمة

إن صورة المرأة في الرواية الجزائرية لا تستمد من عمل روائي واحد ،ولا من أعمال متعددة لروائي واحد ،بل تتضافر الأعمال الروائية لمختلف الكتاب لرسم هموم ومشاكل ومطامح المرأة ،وبالتالي تقديم صورة متكاملة للمرأة من النواحي الاجتماعية والنفسية .

فصورة المرأة مرتبطة بما تعيشه في الواقع،كما تتعدى ذلك إلى مجالات أخرى فهي بشكل عام صورة فنية وفكرية في وقت واحد.

وبعد هذه الرحلة الطويلة والشاقة والممتعة في هذا الموضوع ،نحاول أن نلخص ما جاء من تمظهرات لصورة المرأة في رواية الحريق .

1 -أثرت الرواية الغربية في الرواية العربية وذلك من خلال الاحتكاك والتقليد،فالرواية حدث نثري متكامل يستمد موضوعه من الواقع فهي تصور تفاعلات الإنسان مع محيطه .

2 -المرأة حاضرة في جميع الكتابات الأدبية وذلك من خلال حركات التحرر في سبيل تحقيق الذات ،ف أظهرت بذلك مكانة ورقيا صحح تلك النظرة الدونية في المجتمع .

3 -الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية سابقة لنظيرتها المكتوبة بالعربية،وهذا راجع إلى الوضع السياسي في البلاد ، فقد تطور هذا اللون من الكتابة على يد كتاب برعوا فيه وخاضوا غماره في عدة مواضيع ثورية وسياسية .

4 -المرأة في الرواية هي تمثيل لواقع جسده محمد ديب بصدق تام كما عاشته فهي ملهمة وراعية وشريكة حياة ودافعة للحرية ، وهي المسؤولة بعد غياب الزوج مسؤولية اجتماعية في مجتمع ذكوري.

5 -تعكس المرأة في الرواية رؤية فكرية حيث أن المرأة هي الأقدر على التعبير عن أفكار الكاتب خاصة تلك الداعية إلى التحرر من القيود والعادات التي تحيط بها وتوضح رؤية خفية للكاتب وهذا ما برع فيه محمد ديب والروائيون الجزائريون .

6 -صور محمد ديب من خلال رواية الحريق بعض ملامح الشخصية النسوية ،واستطاع أن يصور عوالم المرأة الخفية من الغيرة والحب والكره وما إلى ذلك ،فكانت مكتئبة وحزينة بسبب ما تعانيه من ضغوطات اجتماعية واقتصادية في آن واحد .

7 -تعكس المرأة الدور الاجتماعي ومظاهر معاناتها ومشاكلها التي تتفاقم ،سواء قبل الاستقلال أو بعده حيث اهتم بكل ما يخص هذا الجانب من حياة المرأة الجزائرية في المدينة والريف والاختلاف بينهما وعمل المرأة وخضوعها لسلطة الزوج ،وأهمية مشاركتها في الثورة ضد الاستعمار .

8 جسدت الرواية أنواع من العنف المسلط على المرأة الجزائرية ،كالذي يظهر في طغيان الرجل وسلطته الذكورية لتبقى حبيسة الدار تنتظر ما يوفره لها من لقمة العيش .

9 صور محمد ديب المرأة في وضعيات عمرية مختلفة في العجوز المقعدة ، والأم المسؤولة عن الأبناء والبنات والمتحملة للمشاق التي تعجز الرجال ،والفتاة الضعيفة الحبيسة البيت .

10 تجلت داخل الرواية إيديولوجيا،الشخصيات والراوي الكاتب، التي تعكس قضايا اجتماعية (حالة الشعب المتدهورة) واقتصادية وثقافية تفتح آفاقا جديدة من أجل دراستها ،فمحمد ديب واحد من الأقلام الروائية الحديثة والمعاصرة التي جعلت من الرواية وسيلة لنشر الإيديولوجيا حيث تظهر أفكاره داخل شخصياته .

11 صور الكاتب الجانب العلمي والثقافي في حياة المرأة الجزائرية ،فقد كانت نتاجا لعادات وتقاليد المجتمع الجزائري .

هذا ما تم إعداده ووفقنا المولى لإيراده ،فنسأل الله تعالى أن نكون قد وقفنا في بحثنا هذا ، فرواية الحريق نص يحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحليل ، كصورة المستعمر أو الأجنبي في الرواية والجوع والفقر .....وغيرها .

الملاحق

سامي الدروبي (1921–1976) :

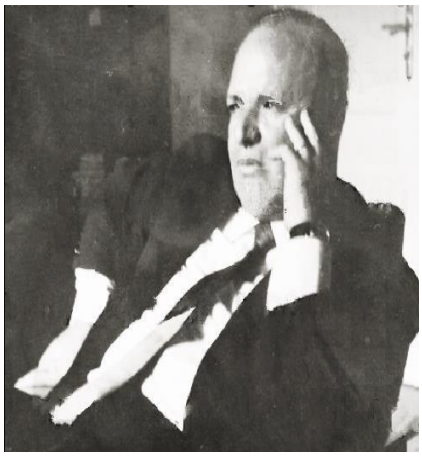

أديب وناقد ومترجم ودبلوماسي سوري. اشتهر بترجمته لجميع أعمال دوستويفسكي، والتي تعد الترجمات الأشهر لهذا المؤلف. ولد في مدينة حمص عام 1921 م. عمل مدرساً للفلسفة في حمص، ثم عميداً لكلية التربية بجامعة دمشق فأستاذاً للفلسفة، فوزيراً للمعارف.ثم سفيراً لدى الجمهورية العربية السورية في يوغسلافيا، ومصر، وإسبانيا، ومندوبا لسوريا في جامعة الدول العربية. توفي 1976 م. ومنح جائزة لوتس في عام 1978 م، أي بعد وفاته.

أهم أعماله التي ترجمها في مجال في الأدب :

- إيفو آندريتش ،وقائع مدينة ترافنك، ترجمة، سامي الدروبي.
- ميخائيل ليرمنتوف ،بطل من هذا الزمان، ترجمة، سامي الدروبي.
- ماشادو دي أسيس ،كونكاس بوربا، ترجمة، سامي الدروبي.
- محمد ديب ، الدار الكبيرة،الحريق ،النول، ترجمة، سامي الدروبي.
- ليو تولستوي ،لحن كرويتزر، ترجمة، سامي الدروبي.
- دوستويفسكي، الأعمال الأدبية الكاملة (18 مجلداً)، ترجمة، سامي الدروبي.
- ليو تولستوي ، (الأعمال الأدبية الكاملة) (4مجلدات)، ترجمة، سامي الدروبي.
- الكسندر بوشكين ،ابنة الضابط ،ترجمة سامي الدروبي .
- كورولنكو ،الموسيقى الأعمى ،ترجمة سامي الدروبي.
- إيفو آندريتش ،جسر على نهر درينا ،ترجمة سامي الدروبي .

صور لأبرز الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللسان الفرنسي:

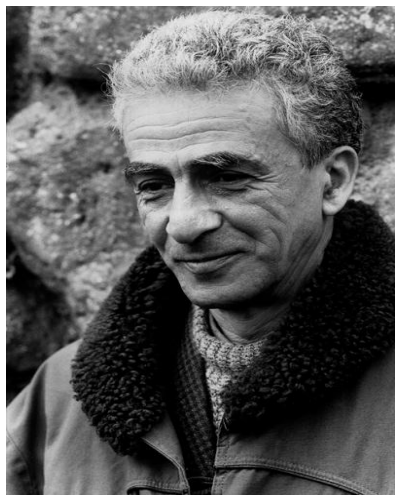

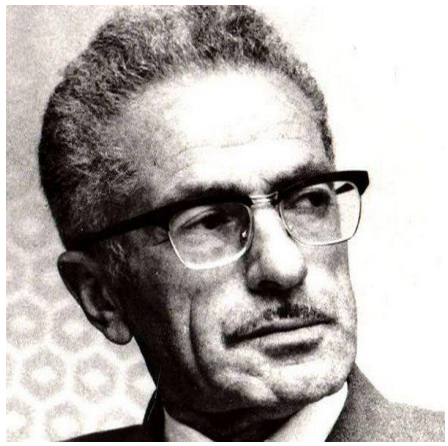

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. القران الكريم برواية ورش.
2. أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ،الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م.
3. أحمد بن نعمان ، التعريب بين المبدأ والتطبيق،ط 1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1981 م.
4. أحمد منور،الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2007م.
5. الأعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية الجزائرية،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1986 م.
6. الجيلاني ضيف،بناة المجد محمد ديب، دار الجيل العلمية ، الجزائر.
7. الطاهر وطار،العشق والموت في الزمن الحراشي،اللاز الثانية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،ط2 ،1982 م.
8. بسام العسلي،المجاهدة الجزائرية والإرهاب الاستعماري،دار النفاس،بيروت، 1989م.
9. بشير بلاح ،تاريخ الجزائر المعاصر (1830م- 1989م) ، دار المعرفة ، الجزائر،ج 2
10. بن هدوقة ، الجازية والدراويش، المؤسسة الوطنية ،الجزائر ،1983 م.
11. جعفر بابوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ألثقافية، الجزائر، 2007م.
12. جمال الدين بن الشيخ ،معجم أدباء اللغة العربية والأدب الفرانكفوني المغاربي،ترجمة الدكتور مصباح الصمد،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1،2008م.
13. جمال الدين بن منظور ،لسان العرب،دار صادر ،بيروت، ج6.
14. زهرة ديك ،من روائع الأدب الجزائري،دار الهدى،الجزائر،2014م، ج 1ج2 ج3.
15. زهور ونيسي، لونجة والغول، مطبعة دحلب ،حسين داي،الجزائر ، 1983 م.
16. زهور ونيسي، من يوميات مدرسة حرة،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1979م.
17. صالح مفقودة ،المرأة في الرواية الجزائرية،دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع،بسكرة،الجزائر،ط 2،2009م.
18. عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى إلى العصر الحاضر،دار الأبحاث،الجزائر،ط 1،2013م.
19. عامر مخلوف، الرواية والتحولات في الجزائر، اتحاد الكتاب العرب ،دمشق،2000م.

20.عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925م- 1967م ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1982م.

21.عبد الرحمن ابن خلدون ،كتاب العبر،دار الكتب العلمية ،بيروت ، مج 6 .

22.عبد الله ابراهيم ،السردية العربية، المركز الثقافي الغربي ، بيروت، ط1 ، 1962 م.

23.عبد الله الركيبي ، القصة الجزائرية القصيرة،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط1،1983م.

24.عبد الله ركيبي،دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر ،2009م.

25.عبد الله المسدي ، الأسلوب والأسلوبية ، الدار العربية، بيروت،ط2 ،1982م.

26.عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1954م-1925م)الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، ط 2 ،1983م.

27.عمر بن قينة،في الأدب الجزائري الحديث،تاريخا،وأنواعا،وقضايا..وأعلاما،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،ط 2 ،2009م.

28.محمد بوزواوي،معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1798م إلى 2009م،الدار الوطنية للكتاب والنشر والتوزيع،الجزائر،2009 م.

29.محمد ديب ،رواية الحريق،ترجمة الدكتور سامي الدروبي ،دار الهلال ،مصر-القاهرة، 1970م.

30.محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر ، دار الجيل ،ط1،2005م.

31.محمد مصايف ، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام،الدار العربية للكتاب ،الجزائر ،1983 م.

32.هشام أبو المنذر ،كتاب الأصنام،دار الكتب المصرية ،ط3، 1995 م.

33.يحي بوعزيز،المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية ،دار الهدى ،ميلة ،2011 م.

الرسائل الجامعية:

34.أم الخير جبور ،الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية،أطروحة لنيل الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث،جامعة وهران، السنة الجامعية 2010م /2011م .

35.أمين الزاوي ،الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية،بحث في تطور علاقة الإنتاج الروائي بالإيديولوجيا من 1830م إلى1982م،رسالة ماجستير،دمشق،سوريا، 1983م.

36.صبرينة الطيب ،آليات السرد في الرواية النسوية الجزائرية ،دراسة بنيوية تحليلية ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ، تخصص سرديات ، جامعة الحاج الأخضر ، باتنة ، السنة الجامعية 2013م/2014م.

37.فاطمة الزهراء حبيب ،ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ،رواية بما تحلم الذئاب لياسمينة خضرا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة ،جامعة وهران 1،السنة الجامعية 2015م /2016م .

38.لخضر لمياء ،الأنثوية في الرواية الجزائرية المعاصرة المقاربة السميائية بين رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في مشروع المناهج النقدية المعاصرة ،قسم الآداب واللغة العربية ،جامعة السانية ،وهران، السنة الجامعية 2013 م/2014م.

الانترنيت:

1. عمار بن طوبال ،عن ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، (الرابط: koutama18.blogspot.com).
2. مجلة انسانيات ، مجلة جزائرية في الانتربولوجيا والعلوم الاجتماعية ،العدد 9-1999 م، (الرابط : journal.openedition.org).

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء

الإهداء

شكر وعرفان

مقدمة.....أ

الفصل الأول :تطور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.....6

المبحث الأول : تطور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.....6

المبحث الثاني : أسباب ازدواجية اللغة.....18

المبحث الثالث : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وإشكالية الهوية.....26

الفصل الثاني صورة المرأة في الرواية الجزائرية 35

المبحث الأول : المرأة الأسطورية.....36

المبحث الثاني : المرأة التاريخية.....38

المبحث الثالث :المرأة الثورية.....41

الفصل الثالث :صورة المرأة من خلال رواية الحريق 47

البحث الأول : التعريف بالأديب بمحمد ديب.....47

المبحث الثاني : ملخص الرواية.....54

المبحث الثالث : صورة المرأة في روية الحريق لمحمد ديب.....58

خاتمة.....72

قائمة المصادر والمراجع.....74

الملاحق.....78

فهرس المحتويات.....85